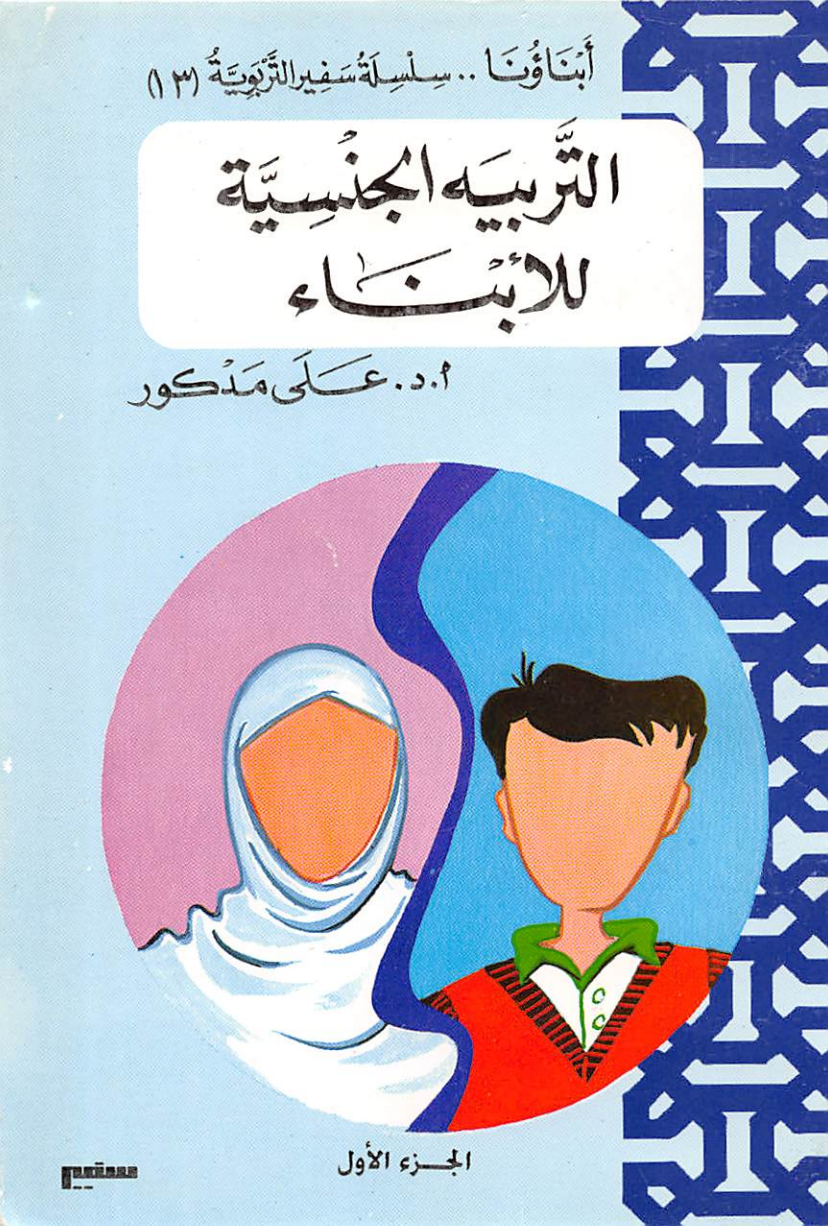

أَبنَاؤُنا .. سِلسِلَةُ سَفِيرِ التَّربَوِيَّةِ (١٣)
التَّربيه الجنسيَّة للأبناء
أ.د. علي مدكور
الجزء الأول

أبناؤنا... سلسلة سفير التربوية

سلسلة تهدف إلى تعريف الآباء والمربين بالمشاكل التى تواجه الأطفال ، وكيفية التغلب عليها من الناحية العلمية والتطبيقية ، وذلك بطرح القضايا والموضوعات التى تهم كل مرب ومناقشتها بموضوعية وأمانة فى ضوء المنهج الإسلامى دون افتعال .

كما تقوم السلسلة بعرض نماذج لمشكلات حقيقية من واقع الحياة ، ومعالجتها فى إطار ماورد فى النظريات التربوية والنفسية والإجتماعية بما يعين المربى المسلم على تنشئة أجيال مسلمة .



سفير ٥ شارع جزيرة العرب – المهندسين – القاهرة – ص.ب: ٤٢٥ الدقى

ت: ٣٣٧٩٧٥٢– ٣٣٥٣٧١١– ٣٣٥٣٧١٢– ٣٤٩٤١٣٩ فاكس: ٣٤٨٠٢٩٩

أبناؤنا .. سلسلة سفير التربوية

(١٣)

التربية الجنسية للأبناء

«رؤية إسلامية»

الجزء الأول

تأليف

د / على أحمد مدكور
أستاذ المناهج وطرق التدريس
ووكيل معهد الدراسات التربوية
بجامعة القاهرة

٥ ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة . ص.ب (٤٢٥) الدقى

الهيئة الاستشارية :

هيئة التحرير :

مقدمة

التربية الجنسية قضية حساسة ، تتطلب من الآباء والأمهات والمربين المعرفة الدقيقة لأوقاتها ومشكلاتها وحاجاتها وأحكامها وأساليب التعامل العلمى اللطيف معها .

وقد ظهر فى السنوات الأخيرة سيل جارف من الكتب الرخيصة عن الجنس والتربية الجنسية .. يهدف معظمها إلى الربح المادى على حساب الأخلاق وصحة الفرد والمجتمع . فهى إما كتب تافهة تدغدغ غرائز الصبيان ، وتحرق أعصاب الشبان والفتيات ، وإما كتب تدعو بصراحة ومنهجية إلى الفوضى الجنسية والإباحية الاجتماعية .

أما التربية الجنسية فى هذا الكتاب فهى مبنية على حقائق العلم، وعلى أساس نظرة الإسلام إلى الجنس القائمة على إدراك فطرة الله فى الإنسان ، والرامية فى نفس الوقت إلى تلبية أشواقه وميوله ، بحيث لا يتجاوز حدود فطرته ، ولا يسلك سلوكًا منحرفًا يصطدم مع غريزته .

إن بعض الآباء والأمهات والمربين قد يترددون فى إرشاد الأبناء

وتوجيه سلوكهم المتصل بالناحية الجنسية ؛ بسبب الحياء أو الخجل اللذين لا مبرر لهما ، أو بسبب هالة التقديس أو الغموض اللذين يُرسبان فى أعماق الأبناء استقباح أعضاء الجنس ، أو استقذار الغريزة الجنسية والاتصال الجنسى .

إن كثيراً من البالغين قد ينتابهم تجاه حياتهم الجنسية شعور مبهم بالقلق والخوف ؛ بسبب خطأ ارتكبوه مرة ، أو بسبب الصراع الدائر فى نفوسهم بين أخلاقيات التسامى وصراع الغريزة الجامح . فالغريزة قد ترتبط فى نفوسهم بالخطر والشر بشكل غامض ، وقد لا يكونون قادرين على التمييز بشكل كاف بين الغريزة الجنسية ومتطلباتها وبين الخلاعة والمجون والانفلات .

إن التربية القمعية التى تلقاها بعض الآباء والأمهات والمربين والراشدين عموماً فى طفولتهم وإحاطة الجنس بها من الغموض من قبل الكبار فى ذاك الوقت ربما كانت السبب فى هذا الشعور بالخوف والقلق الذى لا مبرر له على صعيد العقل الناضج وعلى صعيد الشعور الفطرى النظيف .

إن الجنس مشكل مهمة فى حياة الإنسان ، وهى بلاشك مؤثرة فى السلوك الفردى والسلوك الاجتماعى . لكن الغريب فى

هذا الأمر أنه كلما ازدادت ثقافة بعض الآباء ازداد حرجهم من مناقشة الجنس مع الأبناء .

وتبدو هذه المشكل واضحة لدى أهل المدينة أكثر من أهل القرية . فما زالت ثقافة أهل القرية قريبة من الفطرة وقريبة من الطبيعة من حولهم ؛ فجوانب كثيرة من الثقافة الجنسية يشاهدونها فى النبات والحيوان والطيور ، ويفهمونها بسهولة ولا يجد كثير من الآباء حرجًا فى مناقشتها مع الأبناء فى أعمار مختلفة .

أما أهل المدن عمومًا ؛ فكثير منهم يتحاشى تلقين الأبناء المعلومات الضرورية عن الجنس ، فهذا الواجب إما ثقيل يتم تحاشيه بمختلف السبل ، وإما منعدم تمامًا . والنتيجة هى ترك الأبناء يجمعون معلومات من الأفلام والمسلسلات والكتب الرخيصة وهمسات الجهلة أو رفقاء السوء .

وعلى الجانب الآخر نرى بعض الآباء – وهؤلاء قلة – قد تأثروا بالثقافات الوافدة عبر الصحافة وأجهزة الإعلام والإعلان ، فيتحدثون عن الجنس بطريقة مكشوفة فاضحة . ومن المؤسف أن بعض برامج البث التليفزيونى المباشر ، كأفلام الجنس العارية ، قد أتاحت للأبناء رؤية السلوكيات الجنسية المنفلتة والعمليات

الجنسية المكشوفة بكامل تفاصيلها ؛ بقصد استفزاز الشباب ، وإثارة الغرائز ؛ لتنطلق بلا حدود أو قيود من دين أو أخلاق .

فماذا نحن فاعلون لاستنقاذ أبنائنا من طوفان الشر المحيط بهم؟ إن مهمة هذا الكتاب هى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة الملحة.

ومن أهم هذه الأسئلة : ما التربية الجنسية ؟ وما أهميتها ؟ وما أهدافها ؟ وما أهم أساليب تهيئة الأطفال للتربية الجنسية ؟ مع التركيز على موضوعات ، مثل : الختان ، والوظيفة الفطرية للجهاز التناسلى للذكر والأنثى ، والتمايز بين الجنسين .

ويركز الكتاب أيضًا على إبرزاز أهمية الحياة الجنسية فى مرحلة الطفولة ، وتشجيع الأبناء على طرح الأسئلة المتصلة بالناحية الجنسية ، وأهمية المصارحة بين الآباء والأبناء ودور المناهج الدراسية فى ذلك .

ويركز الكتاب أيضًا على التربية الجنسية فى مرحلة البلوغ ، مثل :

البلوغ والاحتلام ، والعادة الشهرية للفتيات ، والصحة النفسية للصبيان والفتيات وعلاقتها بأساليب الطهارة المختلفة . كما يركز على قضية تجاهل الحياة الجنسية للبالغين والنتائج المترتبة عليها

جسميًا وشعوريًا .

ويهتم هذا الكتاب اهتمامًا كبيرًا بمشكلات الشباب الجنسية كالعادة السرية ، والزنا ، واللواط ، والسحاق ، وما يترتب على ذلك من مشكلات رهيبة ، كالإيدز والسيلان والهربس والقرح ... الخ .

ويعرض – بالطبع – لطرق الوقاية من هذه الأمراض ، وأهمها : حماية البيئة من كل مظاهر الفساد وأخلاقيات الانحلال التى تقوض البيئة وتضعف بنيانه .

والكتاب يعرض كل هذا بأسلوب علمى بسيط ، يفهمه العامة والخاصة ، وفى إطار الأخلاق الإسلامية التى تريد للإنسان إرواء غريزته الجنسية بالطرق الطبيعية الشرعية النظيفة .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

المؤلف

الفصل الأول

التربية الجنسية : مفهومها وأهميتها

يتناول هذا الفصل مجموعة من القضايا ، أهمها : مفهوم التربية الجنسية ، وأهميتها ، وأهدافها ، ونظرية «فرويد» فى تفسير السلوك الإنسانى على أساس الجنس ، وبعض الأفكار والسلوكيات الغربية على مجتمعاتنا ، وكيفية معالجتها من خلال التربية الخلقية والعلمية .

مفهوم التربية الجنسية :

يقصد بالتربية الجنسية هنا تعليم الولد - الذكر والأنثى - وتوعيته - بالتدريج - بالاختلافات بين الجنسين ، وبالقضايا التى تتعلق بالجنس وترتبط بالغريزة ، حتى إذا شبَّ الولد وترعرع ، تفهَّم أمور الحياة ، وعرف ما يحل وما يحرم ، وأصبح السلوك المتميز خلقًا له وعادة ، فلا يجرى وراء شهوة ، ولا ينحرف فى طريق الغواية والضلال .

أهمية التربية الجنسية :

التربية الجنسية مهمة من نواحٍ كثيرة . لعل أخطر هذه النواحى أن أعداء الإسلام يتخذونها مدخلا خطيراً لضرب الإسلام ، فهى السبيل الذى يمكن أن تنجح من خلاله جهود هذه القوى لإبعاد الشباب عن دينهم .

ومن ناحية أخرى نرى أن كثيراً من الآباء والأمهات والمربين يتساءلون : هل يجوز لهم مصارحة الولد أو البنت فى كل ما يطرأ عليهم من علامات البلوغ ومظاهر المراهقة ؟ وهل لهم أن يحدثوهم عن الأعضاء التناسلية ووظيفتها ، وعن الحمل والولادة وكيفيتهما ؟ وهل يجوز مصارحتهم بالأمراض الجنسية وأخطارها وأسبابها ، وكيفية الوقاية منها ؟ وهل يتعارض هذا مع الدين؟

إن الذى نعرفه هو أن منهج التربية فى التصور الإسلامى لم يترك جانبًا من جوانب التربية إلا وقد أرشد المربين إليه وبين أصوله وأساليبه . فالإسلام منهج شامل ، ينظم شئون الحياة كلها، ويقضى فى كل شأن ، ويضع له نظامًا محكمًا ، ولا يقف

مكتوفًا أمام المشكلات الحيوية والقضايا المهمة التى لابد من معالجتها لإصلاح حياة الناس . فربنا يقول : ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾ [المائدة : ٤٨] ، ويقول : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ [النحل : ٨٩] .

فليس من المعقول أن تسود الثقافة الجنسية المنحرفة من تكشف وتخنث وترجل وشذوذ وسائل الإعلام المسموعة والمرئية ، وفى الشوارع والنوادى ، وفى كل زاوية من زوايا المجتمع ، ولا يعترض لكل ذلك معترض .

وليس من المعقول أن تحرق نيران الجنس أبناء المسلمين ، بالوقوع فى مخاطرها وشرورها ، ولا يوجد من يوجههم إلى خطورة المسألة ، وضرورة الوعى بشأنها ، خاصة فى هذه الفترة التى يمد فيها المجتمع أبناءه بالمشكلات ويضن عليهم بالحلول ؛ بالإضافة إلى أن واقعه غنى بالمثيرات والمهيجات ، شحيح بفرص الزواج ، وعرض الحلول ونشر الوعى الصحيح بهذه القضية .

إن الإسلام قد اشتمل على قاعدة عريضة من مبادئ الثقافة الجنسية والتربية الجنسية ، التى ينبغيأن يتفهمها - بالتدريج- الأطفال والصبيان والشباب والرجال والنساء . فلا ينبغى أن يتّهم الإسلام بأنه وراء مشاعر الخوف والقلق الرهبة والرغبة والغموض عندما تثار قضية من قضايا التربية الجنسية .

إن الأدلة الشرعية كلها تدعو الآباء والمربين إلى مناقشة القضايا المتعلقة بأعضاء التناسل والجنس والغريزة الجنسية . بل إن المناقشة والتوعية قد تصل إلى حد الوجوب إذا ترتب عليها حكم شرعى .

فالقرآن مثلا يعلّم الإنسان أنه مخلوق من أخلاط نطفتى الرجل والمرأة ، ويزوده بالمعلومات عن النطفة فى رحم المرأة ؛ وعن العلقة والمضغة ، وعن الحمل والولادة والرضاعة ، وعن صلة كل ذلك بالجنس والغريزة الجنسية : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون : ١٢ - ١٤] .

فكيف يفهم الولد أو البنت فى سن التمييز أو البلوغ هذه المعانى وأمثالها إذا لم يشرحها الآباء والمربون ؟! وكيف يفهم الأطفال والصبيان معنى الحمل والولادة والرضاعة ؟

وكيف لا نجيب عن أسئلة الأطفال : من أين جئت ؟ ومن الذى وضعنى فى بطن أمى ؟ وكيف كنت أعيش وآكل وألعب هناك ؟

إن القرآن يعلم الإنسان أن الزنا فاحشة ، ويحرمه على المؤمنين، ويصف الزانى والزانية بالشرك والكفر . ويحرم اللواط والسحاق ، ويذكر على لسان لوط أن قومه كانوا مسرفين فاسقين؛ لأنهم كانوا يأتون الرجال ويتركون النساء .

لا يستطيع أحد أن يقول بعدم أهمية فهم الأولاد والشباب لهذه المعانى عند قراءة القرآن ، وعدم تفسيرها لهم وبيان مضامينها الجنسية ، فهذا مسلك غير سليم ، ويتنافى مع قواعد التربية فى التصور الإسلامى .

ثم إن هذا يتعارض مع وظيفة القرآن الكريم فى حياة الناس ، ومع دعوة الحق – سبحانه – إلى فهمه وتدبره :

﴿وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مُكث ونزلناه تنزيلا﴾ [الإسراء:١٠٦]

إننا نستطيع أن نستعرض كثيراً من الأدلة الإسلامية – من القرآن والسنة – التى تتصل بتربية الأطفال بعد الولادة وفى سن التمييز ، وتتصل بأحكام البلوغ ومظاهره وآدابه فى سن الصبا عندما تصير المصارحة فى قضايا الجنس أمرًا لازمًا سواء للولد أم البنت ، وكذلك ما يتصل بأمور الزواج وأصول الاتصال الجنسى وآداب الإشباع عندما يصير الشباب على أهبة الاستعداد للزواج ، وكذلك ما يتصل بلقاء الرجل بزوجته ليلة الصيام ، وباعتزال الرجل لزوجته أثناء فترة الحيض ، وبضرورة أن يقدم الزوج نفسه قبل أن يلتقى بزوجته ، وأن يكون اللقاء فى الموضع الطبيعى الذى يحدث فيه الحمل والولادة ... الخ . ولاشك أن بعضًا من هذا سيأتي تفصيله فى ثنايا هذا الكتاب . وهذا كله يؤكد – فى البداية والنهاية – حرص الإسلام على التربية الجنسية التى تتسق مع منهج الله ونظامه للحياة بصفة عامة ، وباعتبارها جزءًا من التربية الشرعية والتربية العلمية فى آنٍ واحد .

أهداف التربية الجنسية :

لاشك أن الهدف الأساسى للتربية الجنسية هو الإسهام فى بناء الشخصية السوية خلقيا واجتماعيًا وعقليًا وجسميًا وشعوريًا .. الشخصية القادرة على القيام بواجبات الخلافة فى الأرض بإعمارها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله .

وهذا إنما يتأتى من خلا تحقيق مجموعة من الأهداف المباشرة، أهمها ما يأتى :

١ - أن يدرك الآباء والأبناء والمربون مفهوم التربية الجنسية وأهميتها ودورها فى توجيه السلوك الإنسانى وتفسيره دون مبالغة أو تفريط .

٢ - أن يدركوا خطورة الأفكار الغريبة على مجتمعنا ، والتى تفسر السلوك الإنسانى كله على زساس الجنس والغريزة الجنسية والجرى وراء الشهوات .

٣ - أن يفهموا ويستوعبوا الحقائق والمعلومات الصحيحة عن الختان والطهارة والوظيفة الفطرية للجهاز التناسلى للذكر والأنثى

٤ - إدراك الحقائق والمعلومات المتصلة بالتمايز بين الجنسين ، وأهمية هذا التمايز فى الحياة الأسرية والاجتماعية نظريا وعمليا .

٥ - القدرة على تهيئة جو الحوار والمناقشة مع الأبناء ، وتشجيعهم على طرح الأسئلة ، ومصارحتهم من خلال الإجابة عنها ، ومساعدتهم علي حل مشكلاتهم ، وإعدادهم لاستقبال حياة البلوغ والشباب .

٦ - استيعاب الحقائق والمعلومات المتصلة بالجنس فى مرحلة الصبا ، كبالبلوغ ، والاحتلام ، والعادة الشهرية .. الخ . ومساعدة الأبناء على حل مشكلات هذه الفترة ، والمرور بها بطريقة يسيرة دون تعقيدات أو انحرافات .

٧ - تحديد مسؤوليات الآباء والمربين والمناهج الدراسية عمومًا تجاه الحياة الجنسية للأبناء وما يترتب عليها من نتائج ومشكلات.

٨ - توعية الآباء والأبناء والمربين بمشكلات الشباب الجنسية كالاستمناء والزنا واللواط والسحاق ، وبأسبابها ، والنتائج المترتبة عليها على مستوى الفرد والجماعة .

٩ - توعية الآباء والأبناء والمربين بالأمراض السرية كالإيدز والسيلان والزهرى والهربس والقرح ... الخ من حيث أسبابها ونتائجها وطرق الوقاية منها .

١٠ - ترسيخ منهج الإسلام فى التربية الجنسية عن طريق العلم بأحكام الشرع ومعرفة ما يحل وما يحرم ، وفهم حقائق العلم فيما يتصل بأعضاء الجنس ووظيفتها ، والابتعاد عن الأفكار والنظريات الفاسدة التى يمكن أن تجرف الأبناء إلى أخطار الرذيلة ومستنقعات الفاحشة .

تفسير السلوك الإنسانى :

لاشك أن كل خلية من خلايا الطفل مطبوعة بطابع الذكورة أو الأنوثة منذ بداية تكوينه فى بطن أمه ، وهذا الطابع هو الذى يحدد تكوينه العضوى خلال مراحل النمو المتتالية ، كما يؤثر أيضًا فى خصائصه النفسية . فالطفل يبدأ فى حوالى الثانية أو الثالثة من عمره فى إدراك نوع الجنس الذى ينتمى إليه شيئًا فشيئًا، وأيضًا فى اكتشاف التمايز بينه وبين غيره . وعلى أساس هذا الاكتشاف المتزايد تتلون مشاعره ، وتتحدد بموجبه نوعية

علاقاته العاطفية وسلوكياته نحو أبويه وإخوته والناس من حوله . وبذلك أيضًا تتمايز حاجاته ومطالبه .

وخلال مراحل النمو المتتالية والمتزايدة عقليًا ووجدانيًا وجسميًا واجتماعيًا تختلف وتتنوع حاجات الأبناء وميولهم ومطالبهم .

فالحاجة إلى الرعاية اللصيقة والشعور بالأمن عن طريق القرب الشديد بالأم والأب فى مرحلة الطفولة يتناقص تدريجيًا ، ويحل محله شعور الاستقلال وعدم الخوف والرغبة فى تأكيد الذات والاعتماد علي النفس في مرحلة الطفولة يتناقص تدريجيًا ، ويحل محله التفكير الواقعى مع بداية الصبا والشباب .

وعلاقة الصداقة البريئة بين الأطفال الذكور والإناث قد يُضاف إليها رغبة فى الإفضاء الجنسى فى مرحلة البلوغ والشباب .

وهكذا تتنوع الحاجات والغرائز والمطالب . وتختلف وتتجدد أيضًا بتوالى مراحل العمر . هذا هو الأساس الفطرى فى تفسير السلوك الإنسانى .

فرويد والسلوك الجنسى :

ومن الأفكار الغربية المناهضة للفطرة الإنسانية السليمة تفسير العالم الغربى فرويد للسلوك الإنسانى كله على أساس الجنس واللذة الجنسية . ففى رأيه أن الطفل الرضيع لا يكتفى بالرضاعة لإشباع حاجة غريزية ملحة ، ولكن لإشباع لذة جنسية إضافية نابعة من عملية الامتصاص بحد ذاتها ومن الصلة الحميمة التى تقيها هذه اللذة بينه وبين أمه .

كما يفسر رغبة الطفل أحيانًا فى تكرار عملية الرضاعة فى فترات شبعه بشعور الطفل باللذة التى سماها فرويد «جنسية» ؛ لأنها من باب «الرغبة الجنسية» لا من باب الحاجة العضوية . ويرى أن هذه اللذة الجنسية تتطور وتتواصل إلى أن تأخذ شكل القبلة التى تلعب دورًا مهمًا فى مقدمات الاتصال الجنسى الكامل لدى البالغين والشباب والراشدين .

والحقيقة أن هذا تفسير تعسفى ؛ لأن رغبة بعض الأطفال فى تكرار عملية الرضاعة رغم الشبع إنما هى حيلة لتمديد الوقت الذى

يشعر فيه بالأمن ، وتتبدد فيه المخاوف . وهذه حاجات لا تقل أهمية بالنسبة إلى الرضيع الذى لا حول له ولاقوة عن حاجته إلى الشبع .

وعلى أساس «اللذة الجنسية» التى تربط بين الرضيع وأمه يظن فرويد أن تتكون لديه «عقدة أوديب» التى تعنى رغبة الولد فى الاستئثار بأمه ، وغيرته عليها من أبيه ، و«عقدة الكترا» التى تعنى رغبة البنت فى الاستئثار بأبيها والغيرة عليه من أمها . والحقيقة أن هاتين العقدتين لا يتصف بهما الأطفال الأسوياء من الجنسين ، وإنما يمكن أن تحدثا لبعض الأطفال غير الأسوياء ممن حدث لهم خلل فى طفولتهم وفى تربيتهم الجنسية .

فالأم التى لا تُعنى بابنتها أو تغازل زوجها أمامها قد تحدث عند ابنتها هذه الغيرة . والأب الذى لا يعنى بولده ولا يهتم به على عكس الأم ، ويغازل الأم بطريقة مكشوفة أمامه قد يحدث لابنه ذلك أيضًا . فالأقرب إلى الصواب أن مشاعر الغيرة هذه إنما هى بسبب خلل فى سلوك الأبوين أمام الأبناء معهم .

ويتـوهم فرويد أن هذه «اللذة الجنسيـة» تتطور عند الطفل .. فالطفل – حسب رأيه – يسعى إلـى لذة شرجية ، وهى تلك التى يكتشـفها الطفل أثنـاء قيامه بعـملية التـبرز . وهكذا ينتقل مـركز اللذة الجنسيـة من منطقة إلـى أخرى من جـسم الطفل فى مـراحل نموه، حتى تتركز أحاسيسه فى النهاية على الأعضاء التناسلية التى يشـبـع الطفل اللذة الجنسـيـة فى النهـاية من خـلالهـا ، وتتلون سلوكياته بلونها .

ولم يغال فرويد دون سند علمى فى تفـسير سلوك الطفل نحو الكبـار على أساس اللذة الجنسـية فقط ، بـل يفسر سلوك الـكبار أيضًا وخاصـة الأم نحو الطفل على نفس الأسـاس .. فعـلاقة الأم –التى تعنى بالطفل – تعتبر مصدراً لا ينضب من الإشباع الجنسى لها ، فالأم تنظر إلى الطفل بمشاعر نابعة من حياتها الجنسية ، فهى تدلكه وتقـبله وتهزه وتعـامله بوضوح وكـأنه بديل عن مـوضوع جنسى كـامل . والواقع أن سـلوك الأم مع طفلهـا لا يحتـاج فى تفسيره إلى هذا التعسـف والالتواء ، فالأمر لا يخرج عن كون الأم – أو الأب – تتصرف مع طفلها وفقًا لما تمليه عليها غريزة الأمومة

الفطرية التى فطر الله المرأة عليها . ولاشك أن الأم تجد فى ذلك إشباعًا لغريزة الأمومة وعاطفتها ، كما أن الطفل يجد فى ذلك إشباعًا لحاجته إلى الطعام وحاجته إلى الأمن .

ويتمادى فرويد فى المبالغة فى تفسير السلوك الإنسانى على أساس جنسى إلى حد أنه يصنف الشخصية الإنسانية إلى ثلاثة أنماط وفقًا لمرحلة النمو النفسى الجنسى ، التى وصل إليها الفرد ، أو التى حدث عندها تثبيت لقدر هائل من طاقته الجنسية . والأنماط الثلاثة هى :

١ - النمط الشبقى الفمى ، وهؤلاء يتصفون بالسلبية والتشاؤم والاعتماد على غيرهم .

٢ - النمط الشبقى الاستى ، وهؤلاء يتسمون بالعدوانية والتزمت والبخل والعناد .

٣ - النمط القضيبى ، وهؤلاء يتسمون بالميول الاستعراضية والزهو والتفاخر ، وحب الذات .

وهذا تصنيف لا يتسق مع الفطرة ، ولا ينطبق على الأشخاص

الأسـوياء ، وإنما هو فى الواقع وصف لشـخـصـيـات الأفراد غـيـر العـاديـين ، أى الشـواذ وغـيـر الأسـوياء الذيـن يتـسم سلـوكـهم بالانحـراف والتطرف والتناقض . وهـو تصنيف منحـرف لايمكن الاعتماد عليه فى دراسة الشـخصية العادية ، أو فى التنبؤ بالسلوك الإنسانى الذى يُعتبر هدفًا من أهداف العلم .

النتائج التى ترتبت على شيوع هذه النظرية :

وقـد تسببت نظرية فرويد مـع غيـرها من الأفكار الخبـيثـة فى شـيوع فكرة الحـرية الجنسـيـة فى بعض البـلاد غيـر الإسـلاميـة ، وشيوع عـادات الصداقة بين الولد والبنت ، واعتبـار صداقة المرأة المتـزوجة لرجل غـير زوجـها وصداقـة الرجل المتـزوج لامرأة غـير زوجته شيئًا عاديًا !

ومع شيوع قيم الاقتصـاد الحر نشأت نوادى البغاء ، وصالات الرقص الماجن ، والشـواطئ المختلطة ، وانتـشرت الكتـب والأفلام والمسلسلات الخليعة ، وأصبح إنسـان هذا العصر محاطًا بجو من

الثقافة الجنسية التى تحل الحرام وتحرم الحلال .

ورأينا كثيراً من الناس فى الغرب والشرق يخرقون الشرائع ويطلبون اللذة بأساليبها الشاذة ، مثل اللواط والسحاق . وخرجت جماعات الشواذ تطالب بشرعية الفسق ، وتطلب الاعتراف بزواج الرجال بالرجال ، وزواج النساء بالنساء ، وتسير فى مظاهرات علنية تطالب بحقوقها ، وتتخذ لها النوادى المرخصة .

ورأينا مجالس للنواب وبرلمانات فى الغرب تقرر المساواة بين الشواذ والأسوياء في جميع الوظائف حتى وظائف الجيش .

وتفنن الناس فى هذا الزمان العجيب ، فجعلوا من الحرية الجنسية مملكة شرعية ، وأقاموا للزنا مؤسسات وأقماراً فضائية تنشره ، وأبدعوا فى إخراجه بجميع أوضاعه ، وفى أبهة من الألوان ومواكب من الزخرف . واستأجروا له الجميلات والفاتنات من كل جنس وعرضوهن عاريات ، وجعلوا العهر Dish مباحاً

لكل من يشترى دش (طبقًا) ولكل من يوجهه هوائيات الاستقبال إلى الفضاء . وقامت دول كبرى بحماية هذه الصناعة الجديدة ونشرها ، وتنافست شركات السينما فى السباق إلى الموضة الجديدة ، وجرى المسرح وراءها ، وانقلبت الأوضاع ، وأصبح الحجاب هو الذى يدعو إلى المساءلة ، وأصبح «الشرف» هو الجريمة التى تستدعى توقيع أقصى العقاب .

وبانتشار الثقافة الجنسية الحرة تقننت الصلات الجنسية المحرمة فى الغرب ومعظم بلاد الشرق ، وتأكدت العلاقت الجنسية بين المراهقين ، وارتفع عدد المواليد غير الشرعيين هناك ، وأصبحوا يكونون القاعدة الجماهيرية العريضة من أجيال هذا الزمان فى تلك المجتمعات ، وهبطت المستويات الأخلاقية ، وضعفت الصلات العائلية ، وتفككت الأسرة وارتفعت نسبة الأمراض الجنسية ارتفاعًا خطيرًا وأصبح جسم المرأة سلعة للتجارة ، وأصبحت ثقافة العصر الجنسية والمادية هى ثمرة النفس التى ينقصها الاعتبار الواجب لفطرة الإنسان وطبيعته وكرامته .

المتاجرة بالجنس :

وعندما يصبح الجنس حراً طليقًا في المجتمع ، وعندما يتقرر أن الأسرة يمكن أن تتكون من غير زواج شرعى ، وأن الإنجاب ليس من الضرورى أن يكون نتيجة زواج شرعى بين رجل وامرأة ، وعندما يتم تشجيع المراهقين على ممارسة الجنس دون خوف عن طريق توفير وسائل منع الحمل ، وإباحة الإجهاض ، وإباحة الحرية لكل شخص كى يفعل بجسمه ما يشاد ، وعندما ترفع الحواجز عن استعمال مفردات وعبارات فى وسائل الإعلام والإعلان يتحرج الإنسان الكريم حتي من مجرد التلفظ بها بينه وبين نفسه .. عندما يحدث كل هذا فمن ذا الذى يستطيع بعد ذلك إيقاف المتاجرين بالجنس والمستفيدين من استغلاله كسلعة تجارية رائجة في المجتمع ؟!

إن معظم الأفلام والمسلسلات والأغانى والموسيقى ما هى بصراحة إلا إثارات جنسية للمراهقين والشباب بصفة خاصة .

ويزداد الطين بلة عن طريق تأكيد رجال الإعلان على الجنس

وإثارة الغرائز ، واستعمال ذلك مادة للدعاية لبضائعهم ومنتجاتهم فى الصحف والمجلات والإذاعة المسموعة والتليفزيون التجارى .

إن على الآباء والمربين وعلماء الدين والأطباء والإخصائيين الاجتماعيين مسئولية ضخمة فى مكافحة كل هذه الشرور التي تكاد تعصف بأركان الأسرة والمجتمع على السواء . ولكن كيف يقومون بذلك ؟ إن الإجابة تأتى بشىء من التفصيل خلال الفصول القادمة لهذا الكتاب .

الفصل الثانى
التهيئة الملائمة للجنس

أهم أساليب التهيئة :

مما سبق يتضح أن هناك عدوانًا صريحًا على الأخلاق الفردية والاجتماعية ، وأنه لابد من مواجهة هذا العدوان من قبل الآباء والمربين وغيرهم فى ميدان التربية بصفة عامة وميدان التربية الجنسية بصفة خاصة . ولذلك شروط لابد من توافرها :

– أن تصير معرفة الأبناء بقواعد التربية الجنسية متدرجة شيئًا فشيئًا وفق قدرة الأبناء على الاستيعاب ، ووفق مراحل التكليف التى يمرون بها ومظاهر النمو التى تبدو عليهم ، فلا يباغتون ولا يفاجئون بمواقف هم غير مستعدين لها .

– أن نعطى لكل مرحلة من مراحل السن حكمها فى التربية الجنسية . فبعد الميلاد نهيئه للتربية الجنسية بالأذان والإقامة فى أذنه، وحسن تسميته وحسن ختانه .. الخ . وفى مرحلة الطفولة نهيىء له جو الحوار والمناقشة ونعلمه الحوار ، ونشجعه على طرح

الأسئلة المتصلة بالجنس ، ونهتم بالإجابة عنها ... الخ . وفى سن التمييز نعلمه آداب الاستئذان والسلام ونعدُّه لاستقبال حياة البلوغ ومظاهرها ، حتى إذا ظهرت عليه بعض هذه المظاهر عرف ما يجب عليه فعله ، وما ينبغى عليه تركه ، وما يحل له وما يحرم ، وفهم السلوك النظيف والسلوك المشبوه ، وتبين الخطأ قبل الوقوع فيه ، وقبل أن يصعب علاجه . وفى مرحلة الشباب نعلمه آداب النظر إلى المحارم ، وآداب التعامل مع الآخرين ، وآداب الاستعفاف. وإذا كان موشكًا على الزواج علمناه آداب الخطبة وعقد القران ، وآداب الاتصال الجنسى ... الخ .

– أن يتم إعداد الأبوين والمربين للقيام بمهمة التربية الجنسية ، وهذا الإعداد لن يتم قبل أن نقتنع بأهمية التربية الجنسية وبواجب الأبوين والمربين نحوها أولا . فينبغى علينا أن نعد الأم التى تستطيع أن تشرف على تعليم بناتها وتنشئتهن على فهم القضايا الجنسية .

فالأم هى الأساس فى هذا الفهم ، فإذا كانت جاهلة بهذه الأمور ، أو كانت غافلة عن دورها فى هذا الصدد ؛ فإن هذا

يؤدى إلى كثير من الاضطرابات الجنسية لبناتها قبل الزواج وبعده على السواء ، والمعلمات فى مدارس البنات لابد أن يدركن دورهن فى هذا الصدد بما يتسق مع دور الأمهات فى البيوت . وأى تناقض فى المعلومات أو فى التوجيه قد يؤدى بالضرورة إلى اضطراب فى فهم الفتيات وفى سلوكهن الجنسى .

– أن يزداد الآباء والمربون إيمانًا وقناعة بدقة الصانع الحكيم من خلال قراءة القرآن وتدبر آياته التى تتحدث عن خلق الإنسان وتطوره فى رحم أمه من نطفة إلى علقة إلى مضغة ، ثم إلى إنسان فى أحسن تقويم ، وأن ينقلوا هذه القناعة إلى الأبناء بأساليب مباشرة وغير مباشرة .

– أن يزداد الآباء والمربون ثقة يومًا بعد يوم بأن الإسلام هو دين الله لكل خلق الله ، فى كل زمان ، وفى كل مكان . وأن منهج الله الخالق هو الذى يستطيع أن يلبى حاجات النفس الإنسانية ، وأن يعالج مشكلات الحضارة والمدنية المتغيرة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . فالخالق العظيم هو الأعرف بمن خلق، وهو الأولى بأن يضع لهم منهج حياتهم . أليس الذى يصنع

شيئًا هو الذى يضع له منهجًا لتشغيله وصيانته ؟ فمن باب أولى يكون الخالق العظيم هو الأولى بأن نتبع منهجه الذى جعله لتنظيم حياتنا .

– أن يؤمن الآباء والمربون والقائمون على رعاية الناشئة أنه لن ينقذ العالم من فوضى الغريزة المتفلتة والانحدار الجنسى الجارف إلا التصور الإسلامى لوظيفة الجنس ؛ لأنه يضع كل شىء فى موضعه ، ويتيح للإنسان حياة متوازنة متكاملة ، ترضى أشواقه ، وتحقق إنسانيته فى نفس الوقت .

أهم أساليب التهيئة بعد الولادة :

بعد فهم القواعد الأساسية السابقة وأخذها فى الاعتبار ، فإننا لا نشك فى أن تربية الأولاد وفقًا للتصور الإسلامى لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كانت ثمرة لزواج شرعى يقوم على مبادئ ثابتة فى التربية وبناء الأجيال .

فالزواج الشرعى هو حجر الأساس الذى يبنى عليه ركائز التربية القويمة ودعائم الإصلاح الاجتماعى ومعالم المجتمع الفاضل

الذى يبدأ بالمرأة المتدينة ، والشاب المؤمن ، فالذرية الصالحة .

ومن المسلم به فى التصور الإسلامى أن الطفل يولد على فطرة التوحيد وعقيدة الإيمان بالله ، وفى جو من الطهر والبراءة ، فإذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية والخلطة الاجتماعية الصالحة والبيئة التعليمية المؤمنة ؛ فإن الوليد يستقيم على فطرة الإسلام والأخلاق الفاضلة . والعكس صحيح .

هذه حقيقة أقرها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ [الروم : ٣٠]

وأكدها رسول الله ﷺ فى قوله : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه » [رواه البخارى] .

الختان :

الختان قطع القُلفة (أى الجلدة) التى على رأس الذكر . وهو من سنن الفطرة ، ومن سنن المرسلين . قال ﷺ : «الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد (أى الحلاقة) ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط» [رواه البخارى ومسلم] .

وقال ﷺ : «أربع من سنن المرسلين : الختان ، والتعطر والسواك ، والنكاح» . [رواه أحمد والترمذى] .

والأفضل أن يتم ختان الولد فى الأيام الأولى من الولادة ، حتى إذا كبر الولد ، وتفهم الأمور ، وأصبح فى مرحلة التمييز ؛ وجد نفسه مختونًا ، فلا يحسب للأمر حسابًا فى المستقبل ، ولا يحمل له همًا ، ولا يبقى فترة طويلة حتى يبرأ جرحه ، وقد روى عن رسول الله ﷺ «أنه عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام» . [رواه البيهقى] .

وللختان فوائد كثيرة : فهو أولا شعار إسلامى ، وفطرة إنسانية . وهو مجلبة للنظافة والتزين ، وتحسين الخلقة ، وتعديل الشهوة ، وتخليص المرء من خطر انحباس الحشفة أثناء التمدد . ويقلل الختان من إمكانية الإصابة بمرض السرطان ، والإصابة بمرض البول السكرى . وبسببه يتمتع المختتن بصحة جيدة ، وكفاءة عالية فى ممارسة الجنس مع زوجه . كما تترسخ فى نفسه حقائق الطهارة، ويعتاد المعانى الكريمة ، ويستقبح الرذائل ، ويعف عن المحرمات .

هل للبنات ختان ؟

أجمع الفقهاء على أن الختان واجب للأولاد الذكور . فالرسول ﷺ لما شرع الختان لأمة الإسلام كان يخص الذكور دون الإناث. فلم يثبت أنه عليه الصلاة والسلام أمر امرأة بالاختتان .

أما الختان أو الخفاض بالنسبة إلى الإناث فلم يرد بشأنه حديث صحيح يُحتج به ، وإنما وردت آثار حكم المحققون من العلماء عليها بالضعف ، ومنها حديث : «الختان سنة للرجال مكرمة للنساء» وحديث «اخفضى ولا تنهكى ، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للزوج» . وقد ذكر هذين الحديثين وغيرهما الإمام الشوكانى فى «نيل الأوطار» وحكم عليها بالضعف . وذكر الشيخ محمود شلتوت فى كتاب «الفتاوى» : «ليس فى الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع» . كما ذكر الأستاذ سيد سابق فى «فقه السنة» أن أحاديث ختان المرأة ضعيفة لا يصح منها شيء .

ويبدو أنه لا يوجد نص شرعى صحيح يحتج به على ختان البنات ، ويبدو أنها عادة انتشرت فى بعض البلاد - ومنها مصر- من جيل إلى آخر وأنها توشك أن تزول خاصة بين طبقات

المثقفين . ومن الأدلة على عدم وجود نص شرعى صحيح يدعو إليها أن معظم الدول الإسلامية الزاخرة بالفقهاء مثل : السعودية ، ودول الخليج ، واليمن ، والعراق ...الخ لا تمارس فيها هذه العادة.

وإذا رأى بعضهم ضرورة إجرائها فليكن ذلك على يد طبيب مسلم حاذق لا يرى في إجرائها ضرراً ، بل جلباً لمنفعة الفتاة .

إن شعور الولد بأنه ذكر ، وشعور البنت بأنها أنثى ، وأنها مختلفة عن الولد ؛ هو شعور موجود حتى فى مرحلة الطفولة . فهذه المشاعر والميول جزء من شخصية الطفل . كما أنها تلعب دوراً حيوياً فى نموه فى جميع النواحى الجسمية والعقلية والعاطفية

فإذا أتيح للطفل أن يحيا وفقاً لشعوره بالاختلاف ، وإذا سمح له بالتعبير الحر الصريح عن شعوره هذا ، إذا شجع على تجاوز الأشكال الطفلية وفقاً لمتطلبات نموه الفطرى ؛ كان لذلك دور كبير فى تأمين اتزانه وانشراحه ، وفى التمهيد لاكتماله النفسى عند الرشد ، وفى إنجاح خبرته الزوجية والوالدية فى المستقبل وإسعادها .

النوم فى حجرة الوالدين :

بعض الآباء يعتقدون أنه مادام الطفل صغيرًا فلا بأس من نومه فى حجرة نومهم ، على اعتبار أنه لا يفهم ، أو أن ملكة الإدراك عنده لم تكتمل ، أو أن إحساسه ليس حاضرًا أو ليس مرهفًا ... الخ . وهذا كله غير صحيح . فالطفل الذى ينام فى غرفة والديه بعد سن الرضاعة قد يتأثر انفعاليًا بما يراه أو يسمعه من العلاقات الجنسية بين والديه ، وقد تحدث لديه مشاعر لا يقدر على فهمها أو احتوائها أواستيعابها . وبذلك قد تسبب له القلق أو الخوف وقد يتصور أنها واقعة افتراس أو عدوان ، وقد تكون أساسًا فى حدوث بعض الاضطرابات النفسية لديه ؛ لذلك ينبغى أن يفصل الأبناء عن غرف الوالدين بعد انقضاء فترة الرضاعة .

المبالغة فى الحب والتدليل :

يحب الطفل أول ما يحب أمه وأباه وأفراد أسرته . واستمرار هذه العاطفة وازدياد قوتها أمر طبيعى طالما كانت تسمح للطفل بالاتساع فيها والإضافة إليها بحب الآخرين من أبناء الجيران

والأقران والأصدقاء إلى آخره . ولا تصبح العاطفة بين الطفل وأمه، أو بينه وبين أبيه شـاذة إلا إذا كانت من القوة بحيث تقف حائلا دون تكوين عواطف أخرى مع الآخرين .

وهنا قد تتحـول العاطفة الإنسانيـة وهى شىء جميل إلى نوع من المشاعـر الهدامة الضـارة . لذلك يؤثر عن الرسول ﷺ قوله : «لا يكن حـبك كلفًا ، ولا بـغـضك تلـفًا » ، فـهـو ينهـانا عن العـواطف الجـامـحـة التى تدفع الإنسـان إلى التـحـيـز والكذب ، والانحراف عن الحق والعدل فى سبيل من نحب أو نكره .

والمؤكـد أن استـغراق مـشاعـر الحب فى شخـصى الأم والأب فقط ، وعـدم السماح لهـا بالامتداد خـارج حدودهما قـد يسبب اضطرابًا كبيـرًا للأطفال عاجلا وآجلا . فمـثل هؤلاء الأطفال عادة غير قادرين على التكيف مع الآخرين ، كما أنهم ينقصهم – عادة – الصبر ، وقـوة التحمل ، ومواجـهة الشدائد ، وتحمل المسؤلية ، وهكذا قـد يكون هذا طريقًا سـهلا وقـصيـرًا للفـشل فى الحيـاة . وكثيرًا ما يفسـر علماء النفس بعض حالات الفشل مع الحموات ، وبعض حالات زواج الشبان بالنساء الكبيرات فى السن ، وزواج

البنات برجال فى عمر آبائهن على أساس العاطفة التى كانت قائمة بينهم وبين آبائهم فى الصغر . فهؤلاء الشبان والشابات يريدون نساء ورجالا على غرار آبائهم وأمهاتهم .

أسئلة الأبناء عن الجنس :

كثيرًا ما يرتبك الآباء أمام أسئلة الأبناء عن الجنس . فالطفل قد يسأل أمه أو أباه أو كليهما : من أين أتيت ؟ وهنا قد يتهرب الوالدان من الإجابة عن السؤال . وقد يتخذ التهرب هذا وجوهًا عدة : منها قمع الولد وتعنيفه على سؤاله الجرىء ! ومنها تجاهل السؤال وعدم الرد عليه ، ومنها الإجابة غير المفهومة وغير المستساغة من الطفل ، كأن يقال للطفل : إن هذا أكبر من عمرك ، أو هذه أمور أنت لا تفهمها الآن وستعرفها فيما بعد . وقد تكون أسوأ هذه الإجابات جميعا أن يقال للطفل : لقد وجدناك عند باب الجامع ، أو لقد استلمناك من مستشفى الولادة ، أو من دار الأحداث ، أو اشتريناك من بائع متخصص ... الخ . فكل هذه الإجابات يكتشف الطفل زيفها ، وتترك أثرًا سيئًا فى نفسه لا محالة .

لا أحد يستطيع أن يقوم مقام الآباء في البداية فى كشف أسرار الحيـاة لأبنائهم . وليس فى هذا إنكارٌ لدور المربين ولمطالعات الأبناء بعد ذلك . فقد اتضح أن الواجب الدينى والخلقى يفرض على الآباء أن يكونوا البادئين والموجهين وواضعى الأساس السليم، المتدرج والمتكامل لأسرار الحياة الجنسية .

ولا يعنى هذا بالطبع أن نطلب من الآباء أن يصلوا إلى كمال النضج المعرفى فى التربية الجنسية قبل أن يقدموا الإجابة عنها لأبنائهم .

كما لا يعنى هذا ضرورة الوصول إلى الانسجام العاطفى أو الزوجى بين الوالدين قبل أن يقدموا التربية الجنسية الملائمة لأبنائهم. لكن المهم أن يشهد الأبناء سعيًا نحو التقارب بين الأبوين وتوثيقًا مستمرًا لأواصر الود بينهم . فالأولاد قد يشهدون منازعات ومشاجرات .. لكن هذا كله ينمحى أثره بالتأكد من رغبة الأبوين فى التحرك نحو المصالحة والعودة إلى الحياة المفعمة بالتفاهم والود والرغبة فى تحمل أعباء الأبناء وتربيتهم تربية سليمة. وهنا تتضح ضرورة إطلاع الآباء على كتب التربية

الجنسية التى تتسق المعلومات فيها مع فطرة الإنسان ،وضرورة الحوار الزوجى الصريح حول هذه الأمور وحول المعلومات التى تقدم للأطفال فى هذا الشأن ،وكيفية الإجابة عن أسئلتهم فى كل طور من أطوار حياتهم .

تهيئة جو الحوار والمناقشة :

لا شك أن المناخ العام الذى يهيئه الأبوان أثناء الحوار والمناقشة هو الذى يشجع الأطفال على طرح الأسئلة والإيجابية فى المناقشة أو العكس .

فالولد الذى لا يطرح أسئلة أبدًا فى هذا المجال لابد أن يكون متأثرًا بالمناخ العام الذى أحاط الوالدان الموضوع به ، من عدم طرح أسئلة الجنس ، والإحجام عن مناقشتها ، وإحاطتها بجو من السرية والغموض .

والمؤكد أن هناك مؤشرات يلتقطها الأبناء من جراء إحساسهم بمواقف الآباء منها ، وهذه المؤشرات إما أن تجعلهم يقبلون على طرح الأسئلة أو يحجمون عنها . ومن المؤشرات الإيجابية :

- استجابة الآباء الإيجابية لأسئلة الأبناء وتصرفاتهم بأعضائهم التناسلية ، كلعب الطفل فى عضو الذكورة عنده ، أو ملامسة عضوه التناسلى ، أو استكشاف العضو التناسلى لأحد إخوته مثلا خلال «لعبة الطبيب» الشائعة بين الأطفال . فإذا صدر عن الآباء رد فعل ينمٌ عن الغيظ أو الانزعاج أو القلق ، أو نهر الأب ابنه ، أو الأم ابنتها ، فسوف يشعر الطفل أنه اقترب من منطقة محرمة لا يجوز التعرض لها ، ولا مجرد التفكير فيها ، وقد ينشأ عن ذلك عدم التعرض للسؤال حولها .

أما إذا واجه الآباء هذا السلوك بموضوعية وبساطة وتعاطف ، مع توجيه رفيق نحو مراعاة قواعد اللياقة والاحتشام ، فإن الطفل سيعتبر الأمر شيئا طبيعياً ومشجعاً على السؤال والمناقشة .

- ومن المؤشرات الإيجابية أيضاً - المشجعة على الحوار والمناقشة وطرح الأسئلة حول الجنس - العلاقة الزوجية الحميمة . فإذا شعر الطفل بالتوافق بين والديه شعر بالأمان والارتياح والانتعاش وشعر بأن أسرار الحياة مطمئنة وجذابة ، ومشجعة على الخوض فيها .

أما إذا شعر بأن العلاقة الزوجية بين والديه مصدر ضيق ونفور لهما ، بدت له شئون الجنس ذات وجه متجهم ومقلق ، مما يدفعه إلى عدم الخوض فيها أو السؤال عنها .

- وإذا رأى الطفل أن والديه يتقبلان أسئلته عن الجنس برحابة صدر ، وأنهما يأخذانها مأخذ الجد ، ويحرصان على الإجابة عنها ، تولدت لديه رغبة فى الإفضاء إليهما بأسئلته المتعلقة بأصله وكيانه ومصيره ، أما إذا رآهم يتضايقون ، أو يتهربون من الإجابة عنها ، فإنه يقلع عن الأسئلة المتصلة بالجنس ، وربما انسحب الأمر على الأسئلة العامة الأخرى .

- ومن الموشرات الإيجابية أيضاً فى هذا الصدد أن يأتى الحوار مع الطفل متدرجاً ومتطوراً ، بحيث يأتى فى كل مرة منسجماً مع حاجة الولد وهاجسه دون أن نقحمه فى موضوعات لم يطرحها بعد على نفسه ، ولم يسألنا عنها . أما إذا تأخر الولد فى طرح الأسئلة رغم المناخ المواتى ، فينبغى أن نأخذ نحن المبادرة فى تعليمه ، متحينين الفرص ، مثل : ولادة حدثت عند بعض الأقارب أو الجيران ، أو توقع ولادة لبعض السيدات فى الأسرة ..

إلى آخره .

ومجمل القول إن التربية الجنسية للطفل لابد أن تتم بسهولة ويسر وعلى مر الأيام ، وأن يعتاد الأبوان فهم حاجات أبنائهم وتطورها ، وأن يجيبوا عن الأسئلة بنبرتهم العادية ، كى يشعر الأبناء أن مجال الجنس إنما يندرج فى واقع الحياة الطبيعية .

– ومن مقتضيات تهيئة المناخ الصالح للمناقشة والحوار حول الجنس ضرورة ربط الجنس بالعاطفة والمحبة والود بين الزوجين ، فالجنس ليس مجرد عملية بيولوچية أو حيوانية آلية ، وإنما هو عملية عاطفية إنسانية ينشأ عنها انتعاش وسعادة وميلاد إنسان جديد ، كما أنها عملية فطرية فطر الله الخلق عليها ، كى يستمر النوع الإنسانى ، ويخلف كل جيل ما سبقه من أجيال في عمارة الأرض وترقية الحياة وفق قوانين الله وشريعته .

أهمية الأسئلة والإجابة عنها :

إن أسئلة الأطفال عموماً مظهر من مظاهر العطش إلى المعرفة الذى يتميز به الإنسان ، والذى يتجلى باكراً عند الطفل من خلال

أسئلته العديدة التى يطرحها حول أمور الكون والإنسان والحياة التى يحتك بها من خلال خبرته النامية . إن أسئلة الطفل تعبر عن يقظة العقل والرغبة فى النمو والمعرفة . وبفضل الأسئلة ينشأ لديه الاستعداد لاكتشاف كل العلاقات بين الأشياء ، وربط الظواهر بعضها ببعض ، وتكوين رؤية متكاملة نسبيًا للكون والإنسان والحياة .

فينبغى أن يغتنم الآباء والمربون الفرصة السانحة وأن يتجاوبوا مع هذه الحاجات الملحة لدى الأبناء ، ولا يعملون على إخمادها ، بل يوقظون طاقة التساؤل فيهم . وهى الطاقة التى كثيراً ما تجمدها هموم الحياة ورتابة الفكر وعبء التكاليف . إن هذه النظرة المتسائلة لدى الطفل هى التى تميز العالم والفنان والمفكر ، وهى شرط أساسى لكل إبداع وتقدم على طريق الحياة .

ثم إن موضوع الجنس مرتبط لدى الأبناء بسؤال : من أين يأتى الأطفال ؟ وهو سؤال شديد الارتباط بقضية أصل وجودهم الذاتى، وبسر الحياة والموت . وهى أمور متلازمة فى شعور الطفل بصورة مبهمة ، وتحتاج إلى إيضاح متدرج مع مراحل نمو الطفل .

إن أسئلة الأبناء تتجاوز فى الواقع موضوع أصل وجودهم الذاتى وأصل الحياة الإنسانية بشكل عام لتطل على مسألة أكثر شمولا ، وهى مسألة أصل الوجود ، ومصدره وغايته ، وهى قضايا حيوية مهمة جداً للإنسان طفلا كان أو شاباً أو شيخاً . فالإنسان لا يقبل أن يعيش ذرة تائهة ، لابد أن يعرف أصل وجوده ، ومركزه فى هذا الوجود ، ووظيفته وغايته . وأسئلة الطفل تبدأ من السؤال عن مصدره إلى أن تصل إلى السؤال عن مصدر الوجود كله وغايته ، وبذلك يصل الحوار إلى الله الذى منه صدر كل شىء وإليه يعود كل شىء .

نتائج عدم المصارحة والمكاشفة :

لابد أن يقبل الآباء إشراك الولد – على قدر طاقته – فى خبرتيهما ، ولابد أن يسمحا له بالتالى أن يلج الطريق الذى يقود إلى الرشد ، وذلك بتشجيع الطفل على السؤال والحوار والمناقشة ، وإقبالهم على الإجابة عليها .

فإن ذلك يشعر الطفل بأن الحياة الجنسية الناشئة فيه هى

موضوع مرحب به من قبل والديه ، وأن اهتمامه بالجنس مشروع. فهـذا الموقف فى حد ذاته أهم فى تربيـته الجنسيـة من كم هائل من المعلومات أو الكتب المصورة فى هذا الموضوع .

ولكن مـاذا لو فـعـل الآباء والمربون العكـس ؟ إن ذلك الموقف المعاكس سيترتب عليه نتائج خطيرة ، قد يكون أهمها ما يأتى :

- شعور الطفل أن ميدان الجنس آثم ومخيف ، وينبغى التهرب من مواجهته ، وتجاهل وجوده . وقد يؤدى هذا إلى نفور الشخص مدى الحـياة من الجنس ، دون أن يعرف السـبب ، وقد ينعكس هذ النفـور سلبيًا على عـلاقة الشخص بـالجنس الآخر عمـومًا ، وعلى علاقته الزوجية فيما بعد على وجه الخصوص .

- ترك الجانـب الجنسى مبـهمًا غامـضًا يحول دون تفـاعله مع سائـر جوانب الشـخصيـة وميـولها . وقـدراتها ، ويعطل بالتـالى تطويرها وإنضاجها .

كما أن ذلك قد يمنـع العلاقة الجنسية مستـقبلا من بلوغ مستوى النضج الذى تتكامل فيـه الغريزة مع العاطفة ، ويتـوافق فيه هاجس الإشباع لدى الشـخص بهاجس الآخر ورغبته وكرامته .

- حدة الفضول الجنسى ، وشدة الرغبة فى المعرفة الجنسية وجعلها الشغل الشاغل ، وقد يظن بعض الآباء والمربين أن المصارحة فى المعرفة الجنسية قد تؤدى إلى إطلاق الغريزة الجنسية من عقالها، والاندفاع الأهوج وراءها . لكن العكس هو الصحيح في الواقع . فغالبًا ما تكون المصارحة والمناقشة عاملا بالغ الأهمية فى ضبط الغريزة وتوجيهها ، وربطها بسائر مقومات الشخصية وتطلعاتها، والسمو بطاقة الفضول الجنسى وتوظيفها فى ميادين المعرفة الأخرى .

- نزعة الإحجام عن ممارسة التفكير والذكاء ، فالطفل الذى لم يعد ينتظر ما يرضيه ويستجيب لميوله ، تتعطل رغبته فى المعرفة ، ويصاب باللامبالاة المعرفية ، خوفًا من جلب المتاعب والأخطار وقد يقوده هذا إلى التعثر فى التحصيل المدرسى فى مادة واحدة أو أكثر من مادة .

- الاختلال فى ميزان القيم لدى الأطفال . فالطفل الذى تعلم أن ميدان الجنس آثم وقذر إلى الحد الذى يمنع والديه من التحدث معه فيه أو أمامه .

وقد يصاب الطفل نتيجة لذلك بالقلق ، والشعور بالحيرة ، وقد يلجأ إلى رفاق السوء للحصول على معلومات مجتزأة أو مشوهة.

وقد يتصور الطفل أن والديه لا يرغبان فى إشراكه فى أسرارهما ، وأنهما لا يريدان له أن يكبر ويصبح من الراشدين ، أو يصبح شبيهًا لهما . ومن شأن هذا الاعتقاد الخاطئ أن يضعف ثقته بهما ، أو ينشئ لديه شعورًا عدوانيًا تجاههما .. الخ .

من أين أتيت ؟

قد يسأل الولد : أين كنت ؟ ومن أين أتيت ؟ فهذا سؤال مصيرى – كما سبق أن قلنا – يرتبط عند الطفل باكتشافه لوجوده المتميز ؛ مما يستدعى لديه التساؤل عن بداية الوجود . وبعد أن يعرف أنه كان قبل الولادة فى بطن أمه ، فقد يتابع التساؤل : من الذى وضعنى هناك ؟ وكيف خرجت من بطن أمى .

بالرغم من أن كثيرًا من الأمهات اليوم لا يجدن حرجًا فى الإجابة عن السؤال الأول : أين كنت ؟ إلا أن معظمهن يجدن صعوبة وحرجًا فى التحدث إلى الطفل – الذى تبلغ حاجته إلى

هذا اللون من المعرفة ذروتهـا ما بين الثالثة والسادسـة من عمره فى كيـفية وصوله إلى الحـياة ، ومن الذى وضعـه هناك فى بطن أمه ؛ حيث إن ذلك يرتبط مباشرة بالعلاقة الجنسية بين الزوجين .

والمؤكـد أن الطفل فى هذه المرحلـة يحتـاج إلى طرح مـبسـط للقـضية وإلـى سهولـة فى الإجابة وعـدم تصنع . كمـا أن اكتـفاء الأبوين بالتحدث إلى الطفل عن تناسل النـباتات أو الحيوانات هو نوع من التهرب الذى سوف يدركه الطفل ويفهـم مغزاه .

إن الطـفل فى هـذه المرحلة لا يـحــتــاج - فى الواقـع - إلى تفاصيل تفسيرية عن ولادة الأطفال ، أو حياة الراشدين التناسلية، كل مـا يريد أن يعـرفـه هو أن البذرة الـصغيـرة الأبوية قل التـقت بالبذرة الصـغيرة الأمـومية فى بطن الأم خلال لـقاء عاطفى سعـيد بين الأب والأم .

ولا بأس هنا من ضرب الأمثلة بتناسل النبـات والحيوان . لكن المهم هو إشـعار الطفل أن هذا اللقـاء السعـيد بين الأبوين قـد انتج طفلا جميـلا يحبانه ويسعدان به . يعنى باختـصار لابد أن يشعر الطفل أنه حصيلة حب يجمع بين والديه ، وليس نتيجة تفاعل آلى

أبى يحب أمى

أمى تحب أبى

أبى وأمى يحباننى

لابد أن يشعر الطفل أنه نتيجة الحب والمودة والحياة المشتركة التى تجمع بين والديه

لا روح فيه ولا حياة ، وإنما هو نتيجة زواج شرعى أمرنا الله به .

ويستطيع الأبوان أن يعرضا للموضوع فى إيجاز وبساطة وبأسلوبهما الخاص على النحو الآتى :

خلق الله للمرأة جيبًا خاصًا فى بطنها يسمى الرحم ، لكى تحمل فيه أطفالها واحداً بعد الآخر . هذا الرحم له ممر صغير يؤدى إلى مبيض فى جسم الأم . هذا المبيض يفرز مجموعة من البويضات الصغيرةجدا ، عندما تختلط إحداها ببذرة الحياة التى يعطيها الأب للأم تنمو وتصير طفلا صغيراً جدًا . هذا الطفل ينمو تدريجيًا فى بطن الأم ، وكلما كبر انتفخ بطن الأم أكثر فأكثر . وفى هذه الفترة يتغذى الطفل من دم الأم .

وبعد أن يكتمل الطفل ويصبح قادراً على العيش فى الحياة الخارجية ، يخرج من بطن أمه من خلال الفتحة التى أوجدها الله فى جسمها . وهذه العملية هى التى تسمى بالولادة . وبعد أن يخرج الطفل ويشم الهواء تحتضنه أمه فى حنان وترضعه من لبنها الذى أنزله الله فى صدرها . وهكذا تظل ترضعه من لبنها المغذى

لمدة عامين ، وحتى يصبح قادراً على أن يأكل ويشرب بنفسه مع أبويه وإخوته .

وهذه المعلومات لا ينبغى بالطبع أن تعطى للطفل دفعة واحدة، وإنما ينبغى أن تأتى بشكل متدرج وفقًا لتعاقب أسئلة الطفل نفسه، والمهم أن يدرك الآباء أن الطفل لا يستوعب من التفاصيل إلا ما أصبح قادراً على استيعابه بفعل النمو والاهتمام المتجدد والمتطور . كما ينبغى تشجيع الطفل على المشاركة فى اكتشاف الحقيقة بنفسه من خلال الحوار والمناقشة فى مواقف غير مصطنعة.

الفصل الثالث

إعداد الأبناء لاستقبال حياة البلوغ والشباب

إذا بلغ الأولاد سن التمييز وجب علينا أن نعلمهم العلوم والقيم التى تتصل بحياتهم ، حتى إذا بلغوا سن التكليف ، وأصبحت العبادة فرضًا عليهم ، عرفو ما يجوز فعله وما يحرم ، وعرفوا حكم الله فى كل ما يتعلق بالغريزة والجنس ويتصل بالبلوغ . قال ﷺ : «من يرد الله به خيرًا يفقه فى الدين» [رواه الشيخان] .

إن علماء التربية يجمعون على أن هذه المرحلة من أخطر المراحل فى عمر الفتى والفتاة . فإذا عرف الآباء والمربون كيف يُربى الأبناء ، وكيف يجنبون أوحال الفساد والانحلال ، وكيف يوجهون التوجيه الأمثل ، فإن الأغلب أن ينشأ الأبناء على الخلق الفاضل ، وأن يستقيموا على فطرة الله .

فمع اقتراب فترة البلوغ يحدث تحول نوعى فى فضول الأبناء الجنسى ففى حوالى التاسعة أو العاشرة من العمر تبدأ اهتمامات الأبناء تتمحور حول مستقبلهم الجنسى . فقد يسأل الولد : كيف

سأنجب أولادًا ؟

إن هذه فترة مهمة لإمداد الأبناء بمعلومات كافية كي يتمكنوا من دخول مرحلة الصبا والشباب التى تحدث فيها تحولات كبيرة على الأصعدة : النفسية ، والجسدية ، والاجتماعية ، بأقل قدر من القلق ، وبأكبر قدر من القبول للتغيرات التى طرأت ، والأحاسيس المصاحبة لها ، على اعتبار أنها مظاهر طبيعية وضرورية .

فالفتيات اللاتى تظهر لديهن الدورة الشهرية دون أن يكن قد تم إعدادهن لذلك ، قد يصبن بالقلق . وبعضهن قد يشعرن بأنهن قد أصبن بمرض غريب أو معيب ، وبعضهن قد يشعرن بأنهن قد حل بهن عقاب غامض ، وبعضهن قد يرون أن هذا قدر مؤلم قد فرض عليهن . وبعضهن قد يعتبرنه لعنة حلت بالأنثى دون الذكر ... الخ، وكل هذا قد ينعكس على الحالة النفسية والجسدية للفتاة ، بحيث تعتبر العادة الشهرية فترة مرضية ، أو تصاب بمشاعر الرفض لأنوثتها .

أما الفتاة التى تربى وتعلم على أساس أن الحيض علامة أنوثة ، ودليل خصوبة واكتمال نضج ، وضرورة حياة ؛ فإن فترة الحيض

تمر عندها بيسر ، وتنظر إليها على أنها علامة على تقبل الجسم لاحتواء حياة جديدة بداخله .

كذلك يجب أن نناقش الصبى بعناية ودقة ونتحاور معه حول التغيرات التى سوف تحدث له بسبب البلوغ . كما ينبغى أن يدرك أن غدده التناسلية سوف تنمو وتبدأ نشاطها . وأن حيوية جديدة ستدب فيه . وأن جسمه وصوته وأفكاره نفسها سوف تتغير بفعل الطاقة الجديدة . وأن رغبات وحاجات جديدة ستبدأ لديه ولا داعى للخوف أو القلق منها ، وأنها فطرة طبيعية أودعها الله فى الإنسان ، فعليه أن يتعهدها بوعى ، وأن يضبطها ويهذبها حتى تجد الإشباع الطبيعى فى زواج شرعى وحب يتوج به نموه الجنسى والعاطفى .

فإذا تربى الصبى على هذا النحو ، فإنه سوف يتقبل باعتزاز المؤشرات الأولى لبلوغه ، وسوف يتعهدها بالرعاية والضبط على اعتبار أنها من علامات رجولته ، وأساس فى تكوين أسرته .

وبدون هذا اللون من التربية قد يصدم الصبى عندما يرى مؤشرات بلوغه ، وقد يتوهم أنه مريض ، أو غير سوى أو أنه

مذنب . وقد يدفعه هذا إلى إنكار رجولته وإعاقة نموها ، وتعريض نضجها السوى للأخطار ، كالانجراف وراء النزوات أو الشذوذ الجنسى ، أو الانطواء على النفس ... الخ .

من يقوم بالمصارحة والمناقشة :

من الشائع أن الأب هو الذى يقوم بمصارحة الولد فى موضوع الجنس . وأنه المحاور الطبيعى له فى مثل هذه الموضوعات . وأن الأم - بالمقابل - هى التى تربى البنت وتصارحها فى هذا الميدان. والحقيقة إن فى هذه القضية لونًا من التفصيل على النحو الآتى :

فى مرحلة الطفولة ، حيث لم تظهر الفوارق الكبيرة بين الجنسين ولم تنضج علامات التمايز ، وحيث يكون الولد أقرب ما يكون إلى والدته ، وتكون أسئلته فى معظمها موجهة إليها ، لكل هذه الأسباب لا بأس من أن تقوم الأم فى معظم الأحيان بالإجابة عن الأسئلة المتصلة بالتربية الجنسية للأبناء . ومع ذلك فعلى الأب ألا ينفض يده تمامًا من مناقشة هذه القضية مع أبنائه ، وعليه أن يتوقع أسئلة من آن لآخر فى هذا المجال ، وأن يكون مستعدًا

للإجابة عنها .

– فى سن التمييز – ما بين السابعة والتاسعة – ربما تكثر الأسئلة المتصلة بالعلاقة بين الجنسين . وهنا يكون من الأفضل أن تناقش هذه الأسئلة بين الصبى ووالده ، وبين الفتاة ووالدتها ؛ لأن مناقشة كل منهما مع نظيره الذى من جنسه فى خلوة بينهما ، واكتشاف الأبناء سر الحياة على يد الكبار يوطد التقارب الوجدانى بينهما ، كما يساعد على نمو الرجولة لدى الصبى ، ونمو الأنوثة لدى البنت . وقد أثبتت البحوث الميدانية أن النساء اللائى تربين جنسياً على يد أمهاتهن أقل استعداداً للطلاق ، لأن لديهن درجة أكبر من الاستقرار الانفعالى ومهارات الأنوثة ، من اللواتى تعرفن عليها على يد أشخاص آخرين غير الأم .

– بالرغم من التخصص فى التربية الجنسية ابتداء من مرحلة التمييز وما بعدها ، فإن هذا لا يمنع بحث القضايا العامة المتصلة بالتربية الجنسية ، مثل قضايا الختان ، والحيض ، والبلوغ ، والحمل والولادة بين أفراد الأسرة مجتمعة وبشكل طبيعى حول المائدة ، وبوحى من مناسبات الحياة العادية وظروف الأسرة اليومية

كـالزواج أو الولادة أو الحـمل .. إلى آخـره . ممـا يمكن أن تتـصل بولد مـعين إلا أنه يتناول الجنس بشكـل عـام ، دون الإشـارة إلى الولد بشكل مباشر .

– فى هذا السياق لابد من تأكيد حاجة الأبناء إلى التعرف على وجهـة نظر الجنسين اللذين يمثلهـما الوالدان فى مـوضوع الجنس . وبذلك تتكون لدى الأبناء فكرة مـتكاملة عن الموضوع الذى يمثل جـوهر العـلاقـة بـين الجنسين ، ويؤكـد ترحـيب الوالـدين بالجنس الجديد . وهـنا ينبغى التـأكيد أن غـياب الأب سـوف يتناقض مع حاجة الأبناء من الجنسين إلى إشراك الأبوين معًا فى الموضوع .

دور المدرسة :

لابد للمدرسـة من دور فى التربية الجنسـية يكون بمثابة امـتداد طبيعى للتـربية الجنسية التى يقوم بها الآباء وتكملة لـها ، فالمؤكد أن المعرفة الجنسيـة تتصل بأمور تشريحية ، وفسيولـوچية ونفسية يحـتاج إليـها الأبناء ، وكـثيـرًا مـا يجهلهـا الآباء . كمـا أن هذه العملية تتصل بالجهـاز التناسلى للولد ، والجهاز التناسلى للبنت ،

والوظيفة النظرية للجهاز التناسلى لدى الجنسين ، والتمايز بين الجنسين .. الخ . وفى هذه الأمور تفصيلات غالبًا ما يعجز الآباء عن إيضاحها ؛ لأن بها معلومات علمية دقيقة لابد أن يتكفل بشرحها متخصصون فى العلوم الخاصة بوظائف الأعضاء، وعلم النفس ، وغير ذلك .

لكن الذى ينبغى التأكيد عليه هو أن التربية الجنسية فى المدرسة لا تشكل بحال من الأحوال بديلا للتربية الجنسية داخل الأسرة ، ولا ينبغى أن تتخذ زريعة لأن ينفض الآباء يدهم من مسؤولياتهم فى هذه النواحى .

والتربية الجنسية فى المدرسة يمكن أن تتم فى صورة محاضرات أو ندوات تطرح فيها الأسئلة المتصلة بالتربية الجنسية، ويجيب عنها المختصون ، ويتحاور حولها التلاميذ تحت إشراف المرشدين المتخصصين . وقد يُدعى الآباء لحضور هذه الندوات والمحاضرات والمشاركة فيها ، وبذلك يكونون أقدر على الإجابة عن تساؤلات الأبناء فى البيت .

وقد تتم التربية الجنسية أيضًا عن طريق التعرض للقضايا الخاصة

بها من خلال علوم الشريعة أو التربية الدينية ، حيث لابد أن يناقش من خلالها القضايا والأحكام والتشريعات الخاصة بالختان والسلام والاستئذان ، والحيض والنفاس والحمل والولادة والزواج والطلاق .. الخ .

كما ينبغى أن تسهم دراسة العلوم الطبيعية والحيوية فى إيضاح الجوانب الكثيرة المتصلة بالتزاوج والإنتاج والإثمار فى الحيوان والنبات . كما ينبغى أيضًا إيضاح كل جوانب الجسم الإنسانى وأجهزته ، مع التركيز على وظائف الأعضاء التناسلية للذكر والأنثى بطريقة علمية وموضوعية .

وسوف نركز فيما يأتى من هذا الفصل على مجموعة من القضايا المهمة فى التربية الجنسية ينبغى إجلاؤها للأبناء فى سن التمييز ومرحلة ما قبل البلوغ ، وهى : الجهاز التناسلى للولد ، والجهاز التناسلى للبنت ، والوظيفة الفطرية للجهاز التناسلى للذكر والأنثى ، والتمايز بين الجنسين ، وبعض القضايا الخاصة بوقاية الأبناء فى هذه المرحلة من الانحراف .

الجهاز التناسلى للذكر :

إن الدراسة العلمية للجهاز التناسلى للإنسان ذكراً كان أو أنثى تجعل الإنسان يؤمن بدقة الصانع الحكيم وبقدرته المعجزة فى خلق الإنسان فى أحسن تقويم .

إن الدارس للجهاز التناسلى للذكر يجد أنه يتكون مما يأتى :

القضيب :

وهو عضو التناسل الخارجى . وهو عضو ينتصب بالاستثارة عن طريق اندفاع الدم فى الأوعية الدموية الموجودة به . وبواسطته ينتقل المنى الحامل للحيوانات المنوية من الرجل إلى مهبل المرأة .

وعلى القضيب غلاف جلدى يحمى حشفة القضيب من هياج فى غير أوانه . ويُزال الجزء الأمامى من هذا الغلاف الجلدى فى عملية الختان التى يقوم بها المسلمون . وقد لمست الطوائف الأخرى غير الإسلامية أهمية الختان للذكر فبدءوا يزيلونها وإلا تعرض الشخص لرواسب يمكن أن تتعفن وتنبعث منها رائحة كريهة ، وتسبب الالتهابات والأمراض . وقد أثبتت البحوث

الميدانية إصابة المرأة المتزوجة برجل لم يختتن بسرطان الرحم أكثر من غيرها .

الخصيتان :

الخصيتان من الأعضاء التناسلية المهمة للرجل ، ولها وظيفتان مهمتان : الأولى صناعة الحيوانات المنوية [النطف] . قال تعالى :

﴿ ألم يك نطفة من منى يُمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ [القيامة : ٣٧ - ٤٠] .

والوظيفة الثانية : إفراز هرمونات الذكورة التى تميز الرجل عن المرأة . والخصيتان محفوظتان فى كيس خارجى من الجلد يدعى «الصفن» ومن أهم وظائف الصفن حماية الخصيتين ، والعمل على تنظيم درجة حرارتهما . فعندما يكون الجو بارداً ينكمش الصفن، ويضم الخصيتين إلى جوار الجسم ، وعندما يكون الجو حاراً يتمدد الصفن إلى أسفل حتى يُبعد الخصيتين عن حرارة الجسم . بحيث تنخفض حرارتهما عن حرارة الجسم كله ، مما يساعدهما على تكوين الخلايا المنوية .

البروتستاتا :

أهم وظائف البروتستاتا إنتاج سائل منشط للحيوانات المنوية، وتنظيم إفراز السائل المنوى والبول بحيث لا يفرز الاثنان فى وقت واحد . كما أنها تخضع لنشاط عضلى يصدر سلسلة من الانقباضات التى تتيح الطاقة لعملية القذف .

الجهاز التناسلى للأنثى :

يتكون الجهاز التناسلى للأنثى من أعضاء خارجية وأعضاء داخلية . والأعضاء الخارجية تسمى الفرج . وهو مكون من طبقتين شحميتين تدعيان «الشفران الأشعران» ، لأنهما مكسوتان بالشعر ، وهما منفصلتان بفتحة يكون طولها عند الأنثى الناضجة حوالى ثلاث بوصات . ويلى ذلك مدخل المهبل ، وكل ذلك يسمى الفرج .

وحول فتحة البول مجموعة من الغدد الصغيرة التى تفرز سوائل كيميائية تمحو آثار البول ذات التأثير السيئ على الحيوانات

المنوية ، وغشاء البكارة وراء فتحة البول . وهو غشاء يسد إلى حد ما المدخل إلى المهبل ، والغشاء الطبيعى لا يغطى فتحة المهبل كلها ، فهو عادة يحتوى على فتحة صغيرة تتسع عند أول جماع فيتمزق الغشاء وينزف أحيانًا ، ثم يزداد تمزقًا عند ولادة الطفل الأول لكنه أحيانًا يتمزق بغير جماع أو بالتمرينات الرياضية القاسية . وفى حالات نادرة لا يكون لهذا الغشاء وجود أصلا .

وفى حالات نادرة يسد هذا الغشاء فتحة المهبل تمامًا ، وهى حالات تقتضى التدخل الجراحى عند بلوغ البنت أو قبل البلوغ ، وهذا أفضل ، لأن دم الحيض إذا تجمع وراء هذا السد يؤدى إلى التهابات خطيرة .

أما الأعضاء التناسلية الداخلية لدى الأنثى فهى تتكون من :

المهبل ، والرحم ، وقناتى فالوب ، والمبيض ، والهدب .

وإليك التفاصيل :

المهبل :

المهبل قناة تمتد من الفرج إلى الرحم . ويقوم بوظيفة الوعاء لمنى الذكر ، وهو فى الوقت ذاته المخرج للجنين عند ولادته . وجدرانه عبارة عن أنسجة عضلية لها القدرة على التمدد والانكماش إلى درجة أنها تكفى لعبور الجنين عند ولادته .

الرحم :

الرحم فى نهاية قناة المهبل ومتصل بها . وهو معلق بأربطة مرنة ، ويشبه حبة الكمثرى فى شكله . ولا يزيد طوله على ثلاث بوصات لدى المرأة غير الحامل. وهو مسؤول عن الحيض ، وعن تلقى بويضة التخصيب ، وعن نمو الجنين خلال شهور الحمل التسعة .

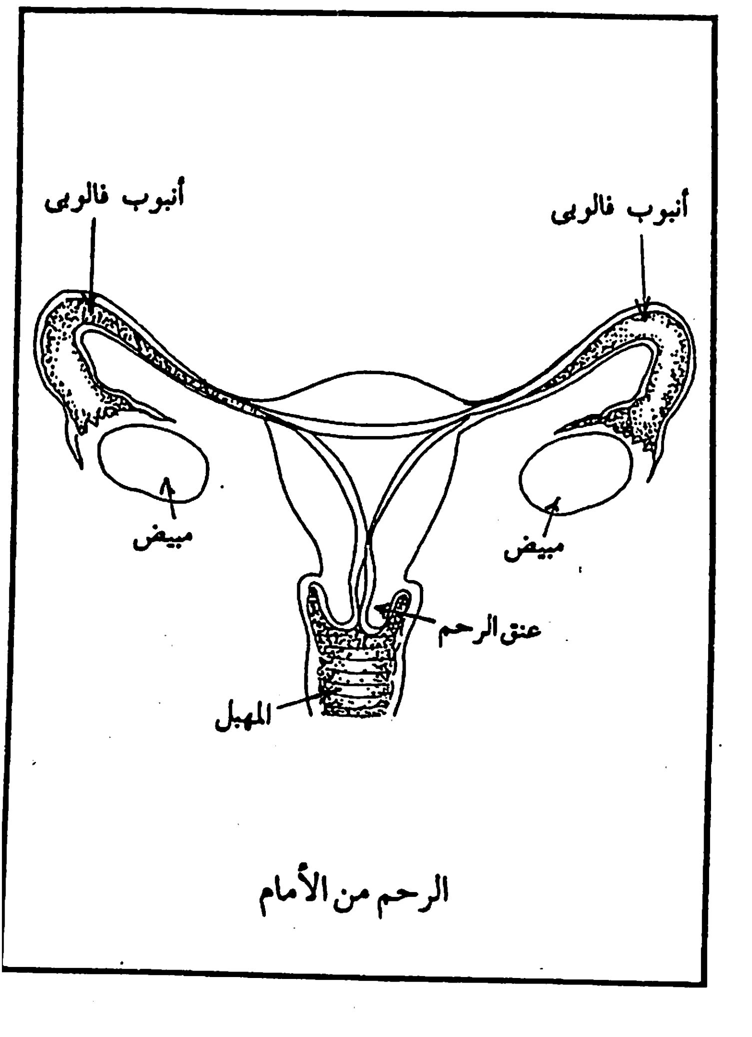
فالرحم هو القرار المكين الذى تنمو فيه النطفة الأمشاج ، وتعلق فيه حتى تصير علقة ، فمضغة ، فعظاماً ، فلحماً يكسو العظام .. ثم ينشئه الله خلقاً آخر ببث الروح فيه ، ثم يخرجه طفلا كامل

الخلق، قال تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون : ١٢ - ١٤] .

وبطانة الرحم تخضع للتغيرات الشهرية التى تُؤلف الدورة الحيضية ، فالخلايا فى هذه الحشوة تنمو فى الجزء الأول من الدورة، ثم تزول فى نهاية الدورة ، وزوال هذه الخلايا ينتهى بنزول دم الحيض .

قناة فالوب والمبيضان :

يتصل عنق الرحم بقناتين تسميان قناتى فالوب ، نسبة إلى الطبيب الذى وصفهما أول مرة . وهما أنبوبان طويلان ، يتراوح طول الواحد ما بين ٤ و ٨ بوصات . وكل أنبوبة تمتد بضع بوصات من الرحم حتى المبيضين .



الرحم من الأمام

المبـيـضان :

هما غدتان تقعان فى أسفل البطن ، وتحت أنبوبى فالوب وعلى كلا الجانبين . وشكلهما بيضاوى ، وطول الواحدة بوصتان تقريبًا . ولهما وظيفتان أساسيتان : فهما تنتجان خلايا البويضات ، ويوفران الهرمونات التى تساعد على الاحتفاظ بخصائص الأنثى الجنسية وتنظيم الدورات الشهرية ودعم عملية الحمل .

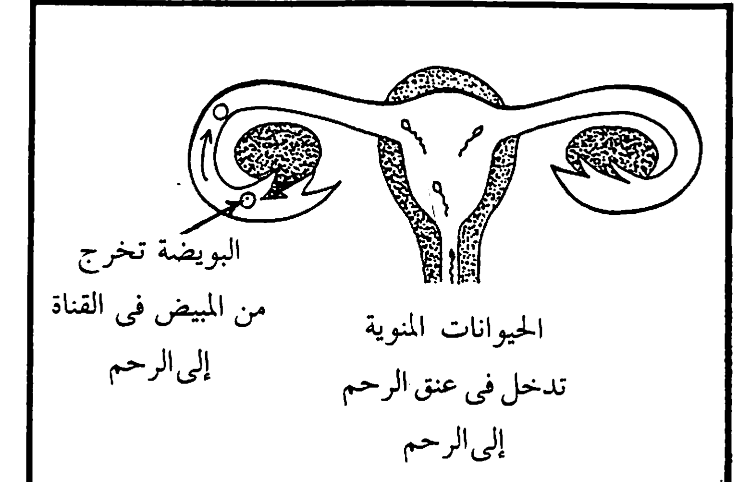
وفى سن البلوغ لدى الفتيات تقـ[illegible]ـد الغدة النخامية فى العقل بحفز المبيضين على إنتاج خلايا البو[illegible] ، حيث تنضج فى العادة بيضة واحدة كل شهر . ثم تندفع البويضة إلى قناة فالوب .وفى القناة تستقبل بويضة الأنثى ضيفها الحيوان المنوى ويمتزج الضيف والمضيف ، ويشكلان خلية واحدة تسمى «النطفة الأمشاج» . ثم تهاجر البويضة الملقحة أو النطفة الأمشاج عن طريق قناة فالوب إلى الرحم ، وتستمر رحلتها حوالى خمسة أيام، وتستقر هناك لكى تصبح جنينًا ، مصداقًا لقول الحق سبحانه ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا﴾ [الإنسان : ٢] .

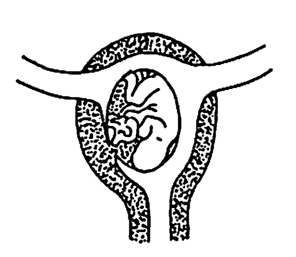
الوظيفة الفطرية للجهاز التناسلى للذكر والأنثى :

لقد شاءت حكمة الله أن يخلق الأشياء فى الكون على أساس قاعدة الزوجية : ﴿ ومن كل شىء خلقنا زوجين﴾ [الذاريات : من ٤٩] ، كما شاءت سنته أن يخلق البشر ذكراً وأنثى ، وأن يجعلهما شقين للنفس الواحدة تتكامل بهما . وفطر كلا منهما على الميل إلى صاحبه لتحقيق حكمته ومشيئته فى امتداد الحياة عن طريق النسل، وأن يكون النسل من التقاء ذكر وأنثى وعلى ذلك خلق الله الذكر والأنثى وفق هذه السنة صالحين للالتقاء ، وجعل اللذة التى ينالانها حينئذ عميقة ، والرغبة فى إتيانها أصيلة؛ وذلك لضمان أن يتلاقيا ، وبذلك تتحقق مشيئة الله فى امتداد الحياة .

كيف تتم عملية الحمل والولادة :

عند اتصال الرجل بزوجته فى اللقاء الجنسى تخرج الحيوانات المنوية التى تفرزها خصية الرجل وتقذف بواسطة القضيب فى مهبل الأنثى ، ولكن واحداً منها فقط هو الذى يقابل البويضة





تنقسم الخلية الملقحة وتتكاثر على مدى الأيام
ثم يبدأ الجنين في التشكل

الوحيدة التى ينتجها مبيضا المرأة كل شهر ، فيخترق الحيوان المنوى البويضة فيكونا خلية واحدة ، هى بداية الجنين . ثم تبدأ الخلية فى الانقسام لتصبح خليتين ، وتنقسم الخليتان إلى أربع ، وتنقسم الأربع إلى ثمان .. وهكذا ، وبمرور الأيام والأسابيع والشهور يتكون الجنين (انظر الصور الموضحة) وينمو ، مثله فى ذلك مثل الحيوانات والنباتات من العام إلى الخاص ؛ خلية واحدة تنقسم إلى أعضاء متمايزة .

وبمرور أربعة أشهر تقريبًا ينفخ الله فيه الروح فيصير إنسانًا مكتمل الخلقة من جسم وروح . فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يومًا ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح .. » [أخرجه مسلم] .

والخلية التى تنتج عن التحام الحيوان المنوى والبويضة تحمل الصفات الوراثية للأب والأم ، مثل : القوام ، ولون البشرة ، ولون الشعر ، والذكاء العام .. الخ . ومع نمو الطفل وانتقاله من الطفولة إلى مرحلة الصبا والشباب تبدأ بعض التغيرات تظهر على جسمه،

مثل : ظهور الشعر فى بعض الأماكن ، ونمو الثديين لدى البنات ، ونمو الخصيتين والقضيب لدى الأولاد . وهذه التغيرات عملية إنسانية وطبيعية ، فلاتدعو إلى الانزعاج ؛ لأنها جزء من النمو الإنسانى العام والانضمام إلى عالم الكبار من البشر .

التمايز بين الجنسين :

إن واجب المدرسة أن توضح للأبناء الحكمة العظيمة فى خلق الله للإنسان من الذكر والأنثى ؛ فهذه الحكمة قد تخفى على كثير من الآباء . فقد عرفنا أن الإنسان يبدأ خلقه من اتحاد خليتين للذكر والأنثى . فلو خلق الإنسان من خلية واحدة ، تنقسم كما تنقسم الأميبيا والبكتريا لأصبح الناس جميعًا صورة مكررة ؛ لا يعرف الأب ابنه ، ولا تعرف البنت أمها ؛ لأن الناس سيكونون جميعًا نسخة واحدة مكررة فى الشكل والقدرات والإمكانيات ؛ فالكل يقوم بعمل واحد ، والكل يحب شيئًا واحدًا ، والكل يفكر بنفس الطريقة .. وبهذا الشكل لا يستطيع الإنسان عمارة الأرض ولا ترقية الحياة على ظهرها .

إن الاختلاف سنة من سنن الله فى الكون . فقد ربط الحق سبحانه وتعالى التناسل بالذكر والأنثى ليختلف كل إنسان عن غيره ولو كانا توءمين فى الشكل والقدرات والإمكانيات ليتعاون الناس ، ويحتاج بعضهم إلى بعض ، فتتكامل الأعمال ، فتعمر الحياة وترقى .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى سر الاختلاف والتنوع فى الشكل والقدرات والاستعدادات فيما تحمله الخلية داخلها من جسيمات ملونة تُسمَّى «الچينات» . وهذه الچينات تحمل الخصائص الوراثية والخصائص البشرية .

إن الخلية المتحدة من التحام الحيوان المنوى والبويضة تحتوى على نصف عدد الچينات التى كانت موجودة فى الحيوان المنوى، ونصف عدد الچينات التى كانت موجودة فى بويضة المرأة ، ومن اجتماعهما تتكون النطفة الأمشاج التى تحمل الخصائص البشرية والوراثية للفرد .

إن التنوع والاختلاف أصيل فى الخلق ، بحيث يصبح كل فرد مختلفًا عن الآخرين وإن ارتبط بهم برباط النسب والدم والأرض.

فرغم أن الأصل واحد ؛ فالناس لآدم ، لكن أبناء آدم مختلفون في شكلهم وقدراتهم واستعداداتهم ، بل وحتى أفكارهم ومناهجهم؛ فشتان بين قابيل وهابيل ، وبين نوح وابنه وبين إبراهيم وأبيه ، وبين فرعون وزوجته : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم .. ﴾ [هود: ١١٩].

التمايز في مرحلة الطفولة :

رأينا فيما سبق أساس الاختلاف والتمايز في الجنس البشرى عمومًا ، لكن الشعور بالتمايز والاختلاف الشخصي قد يتبلور لدى الطفل من سن الثالثة ، عندما يبدأ بملاحظة التباين في طريق التبول . فالصبي يبدو منتصبًا ، والبنت تبدو جالسة مثلا أو «مقرفصة» .

وفي هذا السن تثير الأعضاء التناسلية فضول الأولاد ، وعلى الآباء أن يتجاوبوا مع اهتمامات الأبناء بأعضائهم التناسلية بشكل طبيعي وبسيط ، وأن يسموا هذه الأعضاء بأسمائها الحقيقية، وأن يتحاشوا أي احتقار لتلك الأعضاء، وأي نعت لها: بالقذارة ، أو «البشاعة» أو «العيب» ، أو «قلة الأدب» ، أو غير

ذلك من النعوت التى تجعل الطفل يربط بين هذه الأعضاء وبين وظيفتها الفطرية برباط غير طبيعى ، مثل : الشعور بالنفور ، أو الاستقذار ... إلى آخره .

كما ينبغى على الآباء أن يغضوا الطرف إذا رأوا الأبناء يتحسسون أعضاءهم أو يلعبون بها من آن إلى آخر ، فهذا قد يحمل الأبناء إلى تجاوزها تلقائيا إلى نشاطات أخرى ، فالانفعال والاضطراب من الآباء قد يزيد من تركيز اهتمام الطفل عليها ، ومن رغبته فى إثارة مشاعر والديه وتحدى إرادتيهما .

إن الولد قد يشعر نتيجة لاكتشافه للفارق بين الجنسين بأنه ينتمى إلى جنس متميز . وقد يشعر أن تكوين أخته على الصعيد التناسلى ناقص بالنسبة إلى تكوينه . والبنت قد تشعر أنه ينقصها شىء فى تكوينها .

وهنا ينبغى على الآباء أن يوضحوا للأبناء أن هذا وهم ، وأنه ليس هناك ما يميز أحدهما عن الآخر . وأنه لم يعط أحد الجنسين شيئًا وحرم منه الآخر . وأن القضية ليست قضية زيادة هنا ونقصان هناك ، بل هى قضية اختلاف نوعى . فالله خلق كل نوع متميزًا بأشياء ليقوم بدوره المتميز أيضًا فى عملية الإنجاب والتربية .

التمايز فى مرحلة البلوغ :

التمايز فى مرحلة البلوغ يعنى الانضمام إلى عالم الكبار ، وهذا يعنى بالنسبة إلى الأولاد الذكور أن الخصيتين قد تم نموهما وأصبحتا قادرتين على إنتاج حيوانات منوية ، منها ما يستطيع الالتحام مع بويضة الأنثى لتكوين الجنين كما قلنا من قبل .

والتمايز بمعنى الانضمام إلى عالم الكبار بالنسبة إلى البنت يعنى بدء الدورة الشهرية . فالدورة الشهرية سببها أن المبيضين قد اكتمل نموهما وأصبحا قادرين على إنتاج بويضة قابلة للاتحاد مع حيوان منوى لتكوين جنين . فالبويضة بعد خروجها من المبيض تهاجر فى قناة فالوب - كما قلنا - حتى تصل إلى الرحم وتعلق فيه وتنمو حتى تكتمل طفلا .

أما إذا لم يحدث تلقيح لبويضة بالحيوان المنوى ، فإن الرحم يطرد البويضة مع الغشاء المخاطى المبطن للرحم . ويصاحب عملية الطرد هذه نزول دم الحيض ، الذى قد يصاحبه مُغص بسيط ، ويظل هذا الدم من ثلاثة إلى سبعة أيام ، يعود بعدها الرحم إلى حالته الطبيعية وعملية الدورة هذه عملية فسيولوچية لا يجب الانزعاج منها ؛ لأنها على العكس من ذلك دليل خصوبة وقدرة على أداء الوظيفة الفطرية للأنثى .

الفصل الرابع

بين التربية الجنسية والإثارة الجنسية

إننا ينبغى أن ندرك أن هناك فارقًا كبيرًا بين التربية الجنسية والإثارة الجنسية . فالتربية الجنسية عملية علمية دقيقة ومنظمة ، ومتدرجة مع الوليد الإنسانى حتى يصير شابا يافعًا ، ورجلا متزوجًا ، وراعيًا مسؤولا عن زوجته وأسرته . أما الإثارة الجنسية فهى عملية تتم من خلالها استمالة الغرائز والشهوات فى الإنسان بطرائق وأساليب شتى ، منها ما هو مشروع ، ومنها ما هو غير مشروع . فالمشروع مثل : ما يقوم به الزوجان فى حياتهما الخاصة . وغير المشروع مثل بعض ما نراه ونسمعه فى الإعلام والإعلان ، وفى الصحف والمجلات ، وغير ذلك من وسائل الاتصال المعاصرة .

لذلك فإن أهم ما يجب على الآباء نحو الأبناء فى مرحلة ما قبل البلوغ وما بعدها أن يجنبوهم كل ما يثيرهم جنسيًا ويفسدهم خلقيًا . فإذا عرف الآباء كيف يربون الأبناء ، وكيف يجنبونهم أوحال الفساد والانحلال ، وكيف يوجهونهم التوجيه الأمثل ؛

فإن الأغلب أن ينشأ الأبناء على الخلق الفاضل ، وأن يستقيموا على الفطرة السليمة .

فإذا كان الولد صغيراً لا يفهم أحوال النساء وعوراتهن وإثارتهن من خلال كلامهن وتعطفهن فى المشى وحركاتهن وسكناتهن ، فلا بأس من دخوله على النساء ، أما إذا كان بالغًا أو قريبًا من البلوغ فإنه لا ينبغى أن يمكن من الدخول بغير استئذان على النساء ، لكونه يفرق بين الحسناء والشوهاء، وتتحرك الشهوة فى نفسه إذا رأى منظراً مثيراً .

ويشير قوله ﷺ : «مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع» [رواه أبو داود والحاكم]، أى أن الآباء مأمورون شرعًا بأن يفرقوا بين أبنائهم فى المضاجع إذا بلغوا سن العاشرة ، مخافة أن يروا عورات بعضهم البعض وهم فى حال النوم أو اليقظة ، مما قد يثيرهم جنسيًا أو يفسدهم سلوكيا .

ومما يؤكد الحرص على ضرورة أن يتخذ الآباء والمربون التدابير اللازمة والأساليب الوقائية من أجل تجنب الأولاد للإثارة

الجنسية أو الهياج الغريزى والوقوع فى الفتنة ما رُوى أن رسول الله ﷺ قد حمل الفضل بن العباس خلفه يوم النحر – وكان الفضل قد أوشك على البلوغ – فأخذ الفضل ينظر إلى امرأة جميلة كانت تسأل النبى ﷺ عن أمور دينها ، فأخذ النبى ﷺ بذقن الفضل ، فحول وجهه عن النظر إليها . وقد روى أن العباس رأى النبى ﷺ وهو يفعل ذلك ، فقال للرسول ﷺ : لويت عنق ابن عمك ! فقال عليه الصلاة والسلام : «رأيت شابًا وشابة فلم آمن عليهما من الفتنة » [رواه البخارى والترمذى] .

الترف والإثارة الجنسية :

لقد استخلف الله الإنسان فى الأرض ليعمرها ويرقى الحياة على ظهرها ، وهذا يقتضى من الإنسان استمرار الكد والكدح ، والضرب فى الأرض ، والحركة الإيجابية التى تنشئ وتبدع . وهذه الحركة لا يستطيع أن يقوم بها المنعَّم المترهِّل . قال ﷺ : «إياكم والتنعُّم ؛ فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين» [رواه الإمام أحمد] . فالمترف مترهل ، لا يُرجَى منه خير؛ فهو لاهٍ عابث يجرى وراء الشهوات ويقترف المحرمات . لذلك فإن من أساليب

التربيـة الجنسيـة الصحيـحة اتبـاع القواعد الصـحيـحة فى المأكل والمشـرب والنوم لتـصبـح لدى الأولاد عـادة وخلقًا ، فـاعـتـلال الصحـة والبدانة من أسباب الضـعف الجنسى ، فمن هديه ﷺ فى الطعام والشـراب تجنب التخمـة واعتياد الأكل والشـرب على قدر الحاجة . قال ﷺ : «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فـإن كان لابد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه» [رواه أحمـد والترمذى وغيرهما] . كمـا أن كثـرة الانغمـاس فى الشهوات والملـذات من أكل وشرب ولهو يفسد الخلق ، وبالتالى يثير النشاط الجنسى .

ومن وسائل إبعاد الأولاد عن الترف والإثـارة الجنسية تعويدهم على ممارسـة الرياضـة وألعـاب الفـروسـية ، والـسبـاحـة والرمـاية وركوب الخيل وكل رياضة نظيفة ومفيدة ؛ قال رسول الله ﷺ : «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»

[رواه مسلم] .

ومن هذا القبـيل أيضًا تعويد البنات على حيـاة الأنوثة والرقة ، والبعد عن التشبه بالذكور . وتعويد الأولاد الذكور على حياة الجد

والرجولة ، والابتعاد عن التراخى والميوعة والترف ، فالتعود على التنعم والترف يؤدى إلى أن يكبر الأبناء على الكسل والترهل والنعومة ، وقلة الرجولة ، وسقوط الهمة ، وسيطرة الشهوات ، وشيوع العداوات .. إلى آخر تلك القائمة البغيضة التى تؤدى إلى هدم الحياة النظيفة . قال تعالى : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ [الإسراء : ١٦] .

السلام والاستئذان :

من وسائل إبعاد الأولاد عن المثيرات ، وتعويدهم على أساليب الحياة النظيفة ، تعليمهم آداب السلام والاستئذان مع بلوغهم سن التميز . فقد روى «أن رسول الله ﷺ مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم » [رواه الشيخان] .

والاستئذان طلب الإذن ممن تود زيارته أو الدخول عليه ، فقد يكون منشغلا أو غير مستعد للقاء أحد . وهو واجب على البالغين، سواء أكان الدخول على الأم أم الأخت أم الابنة ، إلا

الزوج فليس واجبًا عليه أن يستأذن فى الدخول على زوجته .

والحكمة من الاستئذان أن تكون البيوت حرمًا آمنا لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم فى الوقت الذى يريدون ، وعلى الحالة التى يحبون أن يلقوا الناس عليها . فالاستئذان يوفر للبيوت حرمتها، ويوفر على أهلها الحرج من المفاجأة والضيق من المباغتة؛ لذلك أدب الله المسلمين هذا الأدب الرفيع بالاستئذان والسلام على أهلها ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ [النور : ٢٧] .

لذلك ينبغى على الآباء والمربين أن يعلموا الأطفال الذين لم يبلغوا سن البلوغ أن يستأذنوا على أهليهم – الوالدين والأخوة – ذكورًا وإناثًا – فى ثلاثة أوقات :

١ – من قبل صلاة الفجر ؛ لأن الناس يكونون نيامًا فى فرشهم ، وقد يكونون عرايا أو عوراتهم مكشوفة .

٢ – وقت الظهيرة (القيلولة) ؛ لأن أهل البيت قد يخلعون ثيابهم فى ذلك الوقت ويخلدون للراحة .

٣ – بعد صلاة العشاء ؛ لأنه وقت راحة ونوم ، قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم » . (النور : ٥٨) .

وتربية هذه العادات فى أبنائنا منذ سن التمييز تساعدهم على الاستقامة على فطرة الله فى سلوكهم الخلقى والفكرى والجنسى والاجتماعى ، حتى إذا بلغوا سن الشباب كانوا نموذجًا حيًا فى الخلق الكامل ، والإنسانية الرفيعة .

وتقتضى الحكمة أن نعلم أبناءنا ونعودهم على ممارسة آداب الاستئذان مرتبة كما علمنا إياها رسول الله ﷺ . وهى على النحو الآتى :

١ – أن يستأذن ثلاث مرات ، لقوله ﷺ : «الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع» [أخرجه الشيخان] . إلا إذا تقين المستأذن أن أهل البيت أو المستأذن لم يسمع .

٢ – ألا يدق الباب بعنف سواء كان الطرق على الباب أو بواسطة الجرس ، ففى ذلك دليل على لطف المستأذن وكرم أخلاقه.

٣ – عدم الوقوف أمام الباب مباشرة ؛ حتى لا يمتد بصره إلى من بداخل البيت لقول الرسول ﷺ : «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر» (رواه الشيخان وغيرهما) .

٤ – أن يكون السلام قبل الاستئذان ؛ لما روى أن رجلا من بنى عامر استأذن على النبى ﷺ وهو فى البيت ، فقال : أ ألج (أى أ أدخل) ؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: «اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان ، فقل له : قل : السلام عليكم ، أ أدخل ؟ فسمعه الرجل ، فقال : السلام عليكم ، أ أدخل ؟ فأذن له النبى ﷺ فدخل » [رواه أبو داود] .

٥ – ألا يجد المستأذن حرجًا ولا غضاضة إذا لم يؤذن له بالدخول امتثالا لقول الله تعالى : ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ [النور : ٢٨] ؛ لأن المستأذن عليهم أدرى بعوراتهم ، وأعلم بأنسب الأوقات لزيارتهم .

تربية القدرة على الضبط :

إن النصوص السابقة – وغيرها كثير – ترشد الآباء والمربين إلى مـجمـوعـة من الأساليب التـى تعود الأبناء القـدرة على الضـبط ، وتجنبـهم كل ما يثـيرهـم جنسـيًا أو يهيـجهـم غـريزيا ومن أهم هذه الأساليب :

– أن نعـود أبناءنا وهـم فى سن الـتمـيـيـز وقـبـيل البلوغ آداب الاستـئذان عامـة ، وآداب الدخول على أهلهم فى أوقـات الراحة ، خاصة قبل صـلاة الفجر ، ووقت الظهيرة ، وبعـد صلاة العشاء ؛ حتى لا يروا ما يثيرهـم جنسـيًا ، ولا يطلعوا على أحوال لا يحسن أن يروا أهلهم عليها .

فقـد يتأثر الولد – ذكـرًا كان أم أنثى – تأثيـرًا بالغًا حين يدخل إلى غـرفة النوم فـجـأة ويرى أبويه فى حالـة اتصال جنسى . وقـد يخرج بعد ذلك ويحدث جيرانه وأصدقاءه الصغار بما رأى ! وقد يظل الولد مندهشًا بعد ذلك كلما عادت الصورة إلى ذهنه وتخيل المشهـد فى عقله . وقـد يكون ذلك مدعاة لتـصورات وتخـيلات بعيـدة عن الحقـيقة ، فـقد يتـصور الولد أن ذلك مشـهد اعـتداء أو

اغتـصاب ، وقد يكون ذلك مدعـاة لتقليد الولد لصـورة الاتصال مع الجنس الآخر ، وقد يكون ذلك مدعاة للانحراف .. الخ .

- أن نجنب الأبناء الدخول على النسـاء الأجنبيات ، فـقد يكن فى أجمل زينة ، مما يثيرهم جنسياً ويعودهم على مخالطة النساء ، والجلوس إليهن ، وحب الحديث معهن ، وتقليـدهن ، فيكبر بعيداً عن صفات الرجولة ، مائلا إلى الميوعة والخنوثة .

- التفـريق بين الأولاد فى المضاجع ابتداء من سن العاشـرة وما بعدها ، بحـيث لا يضمـهم غطاء واحد ، تجنباً للإثارة الجنسـية ، ورؤية العورات والتفكير فيها .

- تعويد الأبناء على آداب النظر ، وآداب الاستـماع ، والقدرة على الضـبط ، وعلى اختـيار البـرامج الجادة فى وسائـل الاتصال المسـمـوعـة والمرئية ، والابـتعـاد عن الأغـانى الهـابطة ، والأفـلام والمسلسـلات المثيـرة ، ووسائل الإعلان والإعـلام الفاجـرة ، التى تركز على إثارة الغرائز . واستمالة الشهوات .

- مـراقبـة الأبناء بشكل غـير مـبـاشر ، وفـحص مـحتـوياتهم

الخاصة ، وحقائبهم ومكاتبهم ، وتوجيههم بالشكل الذى لا يسمح لهم باقتناء الصور العارية ، والمجلات الخليعة ، والقصص الجنسية ، والتسجيلات المثيرة التى تثير فيهم سعار الجنس ، وتفتح عليهم أبواب الرذيلة .

– عدم إتاحة المجال للأبناء لمصادقة القريبات أو بنات الجيران ؛ مما قد يثيرهم جنسياً . كما لا يجب إفساح المجال للولد والبنت فى توثيق العلاقة بينهما ، لما لهذه العلاقة من خطر كبيرعلى الأخلاق والسلوك ، وإفساد الأبناء والزج بهم فى متاهات الإباحية والميوعة والانحلال .

اللباس وستر العورة :

ينبغى أن نعلم الأبناء منذ سن التمييز آداب اللباس والاحتشام وستر العورة ؛ فذلك أعون لهم وللمجتمع على إقامة حياة نظيفة ، لا تهاج فيها الشهوات فى كل لحظة ، ولا تستثار فيها الغرائز فى كل حين . حتى إذا بلغ الأبناء عرفوا ما يحل لهم وما يحرم عليهم فى أمور اللباس والاحتشام وستر العورات . قال تعالى :

﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

وقال تعالى :﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن .. ﴾ [النور : ٣١] .

ويفهم من هذه النصوص صراحة أن المرأة مأمورة بلبس الحجاب والاحتشام . كما رأى فقهاء الحنفية وجمهور كبير من العلماء أن وجه المرأة ليس بعورة ، وأن كشفه جائز إذا لم يترتب عليه فتنة . أما إذا ترتب عليه فتنة ؛ فإن كشفه يكون حرامًا سدًا للذريعة ، ودرءًا للمفسدة .

ويفهم من النصوص أيضًا أن الحجاب غير مرتبط بمرحلة تعليمية معينة ، وإنما إذا بلغت البنت سن البلوغ ونزل عليها الحيض فرض عليها الحجاب ، سواء أكانت فى المدرسة الابتدائية

أم الإعدادية أم الثانوية . فالعبرة بالبلوغ ، فقد ينزل الحيض على بنت التاسعة . فعن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على النبى ﷺ وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها وقال : «يا أسماء : إن المرأة إذا بلغت المحيض (أى سن البلوغ) لم يصح أن يرى منها إلا هذا وهذا» وأشار ﷺ إلى وجهه وكفيه. [رواه أبو داود] .

إن الحكمة من الحجاب والاحتشام وستر العورة هى إنشاء مجتمع نظيف ، والحيلولة دون الاستثارة المتعمدة والمستمرة ، وإبقاء الدافع الفطرى الغريزى بين الجنسين سليمًا ، بحيث يعمل وفق طبيعته ، دون إثارة مصطنعة ، وانحراف به عن مقصده السليم .

إن عمليات الاستثارة المستمرة التى تقوم بها بعض برامج الإذاعة والتليفزيون والصحف والمجلات الخليعة والإعلانات التجارية ، تنتهى بالأبناء إلى صعار شهوانى لا ينطفئ ولا يرتوى. فالمشاهد الراقصة ، والنظرات الخائنة ؛ والحركات المثيرة ، والزينات المتبرجة ، والأجسام المكشوفة .. كل ذلك لا يصنع

شيئًا سوى إثارة الغرائز ، وجنون الشهوات ، والقضاء على الأسرة التى هى قاعدة البناء الاجتماعى .

إن ذلك لا ينبغى أن يجعلنا نيئس من أداء رسالتنا . فلابد أن نعلم الصبى البالغ أنه لا يجوز له أن يكشف جزءاً من سرته إلى ركبته ، لا فى رياضة ، ولافى حمام ، وإن أمن الشهوة . وإذا أمره أحد فى كشف جزء من عورته فعليه ألا يطيعه ، ونعلم البنت البالغة أن جسمها كله عورة إلا وجهها وكفيها وقدميها .

وعورة الصبى البالغ مع مثله أو مع رجل بالغ ما بين السرة إلى الركبة . وعورة البنت البالغة مع بنت بالغة أخرى أو مع امرأة مسلمة ما بين السرة إلى الركبة . وعورة البنت أو المرأة المسلمة مع امرأة كافرة كل جسدها إلا الوجه والكفين والقدمين .

والبنت أو المرأة مع محارمها كلها عورة إلا الوجه والرأس واليدين والعنق والقدمين ، والأصل فى ذلك قول الرسول ﷺ : «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة» [رواه مسلم] . وعنه ﷺ أنه قال : «ما بين السرة والركبة عورة » [أخرجه الحاكم] .

ومع أن كثيراً من الجهود التى تقوم بها الأسرة والمدرسة فى تربية الأبناء وفى الحفاظ على الأخلاق المتصلة بعقيدة الأمة وأعرافها الصحيحة تضيعها المواد الهابطة المبثوثة عبر وسائل الاتصال المعاصرة ، إلا أن صوت الحق يجب أن يظل مرفوعًا ، والجهود المخلصة يجب أن تظل مبذولة ، والله غالب على أمره .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

صدر من هذه السلسلة :

- لغة الطفل .
- التأخر الدراسى .
- كيف تستثمر وقت طفلك .
- مشكلات الطفل الرضيع .
- كيف تنمى مهارة طفلك اللغوية .
- الثواب والعقاب وأثره فى تربية الأبناء .
- طفلك الموهوب (اكتشافه - رعايته - توجيهه) .
- وقاية الطفل من الأمراض .
- أنت والتليفزيون .
- طفلك ومشكلاته النفسية (التشخيص والعلاج) .
- دور الأسرة فى تربية الأبناء .
- أبناؤنا فى مرحلة البلوغ وما بعدها .

- احفظ أولادك من الأخطار .

- العب وفكر وتعلم .

- تنمية الإبداع لدى الأبناء .

- طفلك يسأل وأنت تجيب .

- النشاط العلمى فى حياة أبنائنا .

* * *

رقم الإيداع : ٤٣٤٦ / ٩٥
I . S . B . N: 977 - 261 - 391 - 3 : الترقيم الدولى